

معين
بديسو

الأعمال الشعرية

1966 - 1946



معين بسيسو

اهداء التصوير: لشهداء غزة

الأعمال الشعرية

1966 - 1946

الجزء الأول

الإهداء

إلى صهباء.

إلى دالية.

إلى توفيق.

إلى مليكة.

معين بسيسو

هذه المجموعة

الشعرية الكاملة

لا فائدة الآن من الاحتجاج على أسنان الآلة
الكاتبة أيها الحوت. كل هذه النخلة من الماء
المسنون - هذه القامة الطويلة من الشبايبك -
هذا القطار الذي كان يحمل جرائد الصباح وفنجان
القهوة إلى السفن - ها أنت الآن رسالة في زجاجة
- ترفعها الصنارة من الماء إلى أسنان المطبعة.

حقيبة مليئة بالثلج تنتظر دمك. تنتظر الحبر
الآتي - ساعة حائط، أو غزلاً أو كتاباً حينما
يدقون المسمار الأول في القلب، وتنتظر الحبر
الذاهب - طائرة من الورق - متراساً - امرأة
تمسح بورق الجريدة - زجاج النافذة - منشوراً
سرياً للغزالة التي تعلم عند حافة البحيرة: القراءة
والكتابة للماء.

روفائيل ألبرتي، لماذا يأتي الآن...؟ هذا الطائر
الأشيب الذي يمشي كموجة، يفتح ذراعيه
كشراعين، ويتقدم إلى الصف الأول - آنية زهور...
مفتوح فيها كسفينة:

- كتاب الشعر الإسباني.

في كنيسة يوغوسلافية قديمة، في جمهورية
مقدونيا اليوغوسلافية رأيتَه - للمرة الأولى
- وهو يتلقَى - إكليل الغار الذهبي. لم تكن
يوغوسلافيا قريبة مني، مثلما كانت بين يدي -
روفائيل ألبرتي - هذا الذي قال لنا:

- الشعر هو الصداقة.

لم يجتمع ثلاثة من الشعراء العرب، إلا وكان
الكبش المحشو بالكستناء هو: شاعراً رابعاً. لنتركهم
حول مائدتهم المشؤومة، وليأت الآن: روفائيل
ألبرتي.

فريدريكو غارسيا لوركا - شاعر من أجمل
أطفال الكون، من أجمل ما أنجبه البرق والنسيم -
فريدريكو غارسيا لوركا، مشى إلى الموت ومسدس
وراء رأسه. هذا الشاعر الجميل الذي يأتي إليك
مثل هبة من النسيم، جاءت من كوكب بعيد، أراد
دمه أن يقول: الدم، الذي علّم إسبانيا قراءة الشعر:
- كيف يكون الشاعر محايداً... حينما ينحاز
الوطن...؟

مثل طائر أشيب، يرتدي موجة رمادية، أخيراً
عاد إلى إسبانيا.

انتصرت حرب الشعراء.

اشتروا إسبانيا بالمسدسات، وحينما عرضوها

لقاء قصيدة، كان فرانكو يتمدد... تحت عشرين طناً
من الإسمنت... بينما قمر لوركا، لا يزال يطير فوق
التراب. مركبة فضائية حملت روفائيل ألبرتي إلى
مدريد.

روفائيل ألبرتي، يرسم دائماً طائر حمام - ذكراً
أو أنثى - كان يقدم للصديق حمامة، وللمرأة
الصديقة ذكراً من الحمام...؟

هذا هو سرّ روفائيل ألبرتي.

وها أنت الآن ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق.
من سوف يغني معك الآن...؟

هل هذا هو أنت..؟ وهل هذا هو هم أولئك الذين
يكتبون...؟ ثلاثون أو عشرون عاماً من الكتابة
والشطب، في تلك الزنزانة الجهنمية، حيث يتم
السفر بالحقيبة التي ليس لها وجه، وفوق صهوة
سمكة قرش.

ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق على امتداد
عشرين أو ثلاثين عاماً، بين إلقاء القليل من
القصاصد في النافورة، كقطع النقود المعدنية التي
تجلب السعد، وتحقق الأمنيات، وإلقاء الكثير من
القصاصد، كرسائل في زجاجات لن تصل أبداً.

ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق، على امتداد
عشرين أو ثلاثين عاماً من الكتابة، هل هذه هي
بطاقتك الشخصية، أم وثيقة اتهامك التي تعلقها
كالأيقونة حول عنقك، مقصلة صغيرة تتدلى منها
خواتم ومفاتيح لأصابع كثيرة ولنوافذ كثيرة
أيضاً...؟

«الملائكة» الذين كتبوا قصيدة الكون في ستة
أيام، واستراحوا بعد ذلك في اليوم السابع لم
يقرأوا ولم يكتبوا، لن يغفروا لك أبداً، أنك واصلت
الكتابة بعدهم... إلى عشرين أو ثلاثين عاماً. لا لكي
تكتب قصيدة الكون... بل لكي تكتب وجودك في
النافذة - في القصيدة - في الشارع الذي يسمح
لك، أن تمشي فوق رصيفه.

الملائكة ضدك والشياطين أيضاً. فالملائكة الذين
قالوا: نعم، ليسوا ضد الشياطين الذين يقولون:
لا. «فلا» الشياطين الجدد هي «نعم»... الملائكة
القدامى... الذئاب الجديدة تقدم أوراق اعتمادها
للذئاب القديمة. فذلك الشيطان الجميل الذي قال:

- لا القصيدة الواحدة التي تكتب خلال ستة
أيام، ويتم تتويجها ملكة، لا يزال في زنزانة
الملائكة... ونحن الذين نكتب الشعر باسمه، لم نقدم
له ولو حبة إسبرين، على امتداد سنوات الكتابة.

حينما يقولون لك: تعال بكل قصائدك إلينا، تعال

بكل ما كتبت إلى المطبعة، فهم يقولون لك:

- لقد حان الوقت أيها القط البرّي، أيها الأرنب الذي يرفض القبعة، أيها الغزال الشارد الذي يحمل مظلة طول عمره، أيها النهر الذي يريد أن يمشي على الرصيف، أيها الحصان الذي لم يجر عربة طوال حياته، ولم يضع على ظهره سرجاً، ولا في فمه حبلاً. تعال إلى الإسطبل، تعال إلى المطبعة.

وها أنت في المطبعة الآن...؟

مئات المرات، وعلى امتداد سقوط مئات الشهداء، كنت أمشي في جنازاتهم. إنني أعرف الطريق جيداً إلى مقبرة الشهداء. ذات مرة قال لي أحدهم:

- إن حارس مقبرة الشهداء، قام بتربية بعض الدجاج... في المقبرة... الدجاجات كانت تمشي بين القبور... وهذا لا يليق بقبور الشهداء.

لماذا يمنعون تلك الطيور الأليفة، من تأدية تحيتها للشهداء. هذه هي مأساتنا، حينما نقول:

- من مات مات...

ولكن الشهداء كالطيور لم تنزل حواصلهم مليئة بالقمح أيها الأصدقاء... لماذا لا نتركهم: لا يموتون...؟ لماذا لا نتركهم يعيشون حتى في مناقير الطيور الصديقة...؟

ولكن هذا هو أنت، ثلاثون أو أربعون ملزمة من
الورق. أعرف أنك بكيت كما لم تبك في حياتك
حينما قتلوا أرنستو تشي غيفارا، في بوليفيا.

- منغيستو هيلامريام، هل تعرف لماذا أحبك
أيها الصديق... لأن غيفارا الأرجنتيني الكوبي
الفلسطيني كسب حرب - الشعر - في أديس ابابا
- الأفريقية.

والذين تاجروا بالعاج، لن نسمح لهم بأن يتاجروا
الآن: بلحم الفيلة.

في المهرجان الذي تقيمه جريدة «الأومانيته»
الفرنسية كل عام، كان هناك شعار يقول:

- الشعر فمه مليء بالمستقبل.

قبل ذلك كتب الشاعر الأميركي غريغوري
كورسو:

- الشعراء جواسيس المستقبل...

والمستقبل بالنسبة إلى الشاعر شيء من
الشعر، شيء من الكهرباء ضد الذين يهينون شرف
التماسيح كلما دعت المناسبة إلى ذلك، ويخلمون

بمنديل من جلدها، وهو شيء آخر بالنسبة إلى
الذين يرون أن المستقبل فمه مليء بأسمائهم، ومن
أجل هذه الأسماء فهم يشترون نطف الشعراء. إنها
نبيذهم المعتقد.

الشاعر يبول فوق أرضهم - هذا هو كل
مجدهم...؟

- المستقبل فمه مليء الشعر.

- والمستقبل أيضاً مليء بفلسطين.

والشاعر يمضي من حدّ السكّين إلى المستقبل.

أول طائر صغير اصطدته: اسمه «الكرکز»،
طائر في حجم يد طفل، طائر أسود صغير مشرب
بالبياض، حول عنقه، طوق أبيض...

كنا نعدّ الفخّ له: نصف دائرة من السلك وبالذي
يسمونه - الكرز - الصنارة بمعنى آخر، والتي
توضع فيها دودة قصب البوص - كنا نستدرج
ذلك الطائر.

الفخّ كله مدفون تحت التراب، الدودة فقط هي
التي تظهر... تتمدد وتتقلّص... إنها كأس الطائر...
وأنت الصياد على بعد أربعين أو خمسين خطوة من
الفخّ... وطائر الكركز أمامك. أنا لا أزال أذكر تلك

الأغنية...

- آه يا الكركز...

إدحل واركز...

قذامك... دود...

لحم القاعوذ...

ويدرج الكركز... إلى الدودة... يدرج الشاعر إلى

المقصلة...

لقد رأيته أحد الأصدقاء الصغار، حينما أطبق

فخه على طائر الكركز... عنق الطائر كان بين

فكي الفخ... يبدو أنه مات... وحينما عرف الصياد

الصغير هذا الموت، قطع رقبتة بيده... وحينما

سقط الكركز على الأرض، كان يرتعش... إنه لم

يمت بعد...

آه...

من يومها... كرهت تلك الكف من الحديد - تلك

الكف التي وظيفتها: اصطياد طائر صغير.

ويجيئك صوت الشاعر يفتوشنكو:

- آه يا صديقي، هذه الزجاجاة الرديئة من النبيذ،

كانت عنقوداً طيباً ذات يوم... تعرّف إليه في

طشقند عام 1968 - عاصمة جمهورية أوزبكستان
السوفياتية - وكان أول من قدمني إلى القارئ
السوفياتي، من خلال قصيدة - الطبل - التي
ترجمها إلى الروسية...

ترتعث وأنت أمام ثلاثة أو أربعة آلاف مستمع...
لقد اعتدنا مواجهة العشرات أو المئات...

- لا تخف. إنني ممثل كبير...

ولقد كان يفتوشنكو ممثلاً كبيراً، وصديقاً كبيراً
أيضاً.

ممثل ليبيا في ذلك الوقت كان الملحق العسكري
الليبي في أنقرة، ماذا جاء يفعل في ندوة أدبية
لكتاب آسيا وأفريقيا...؟

بعض الكتاب والشعراء العرب الذين كانوا دائماً
- عناقيد رديئة - ذهبوا يصرخون:

- لماذا أنت وافتوشنكو..؟

كان قصيدة طويلة القامة... وكان يقول:

- الشعراء من قرية واحدة، وإن عاشوا في
شوارع مختلفة...

يفتوشنكو... نافذة من الموسيقى ذات عينين

زرقاوين... كتبت ذات مرّة له، ليكتب قصيدة عن
دير ياسين، هو الذي كتب قصيدة «بابي يار»...

وكانت فرصة كل قصير القامة في الشعر العربي،
أولئك الذين كرهوا يفتوشنكو، ذهبوا إليه لا لكي
يحرّضوه على كتابة قصيدة فلسطينية، ولكن
ذهبوا إليه بالأحجار، ورجموا النافذة التي كئنا نقف
خلفها.

ولكن يفتوشنكو الذي أعطاني معطفه ذات يوم،
أعطاني - جلده السوفياتي - سأضع ذات يوم
قريب يدي في يده:

- لنذهب يا يفتوشنكو، بعيداً في الشعر.

- ها هي البروفة الأولى. وها أنت مطرّز بالأخطاء.
في «فولغاغراد»، رأيت الكاتب المسرحي: بيتر
فايس، كان يمشي كالنسمة المتلائة. إنهم لم
يعرفوا بعد، تعبئة النسيم في زجاجات.

بيتر فايس عرفته حينما أعلنوا اسمه ومضى إلى
الميكروفون.

- إذا كانت الكهرباء هي فاكهة بسطاء الناس،
فالمسرح هو خبزهم... وحينما لا يكون هنالك وطن،
تكون هناك خشبة المسرح، أرجو أن تتذكّر هدية

بيتر فايس.

ومضى بيتر فايس ومضيت، كل واحد منا إلى
منفاه، إلى وطنه الآخر. إلى خشبة المسرح.

كانت الأيام الصعبة، والمجد الصعب للشعر... كان
العطر المر، أيام حصار «تل الزعتر»...

الشعراء - ساعات الحائط - الذين رقصوا
رقصة الهولاهوب طويلاً، بأطواق خيزران كل
الجرائد والمجلات والأنظمة. هربوا.

لم أكن أعرف قبل حصار تل الزعتر، أن الشعر هو
شيء عزيز جداً ومقدس، جميل وشجاع يستحق
أن تموت من أجله.

كان على الشعر أن يقول من هو، وحينما قال
الشعر من هو، عرف المقاتلون الفلسطينيون من
هم... فكتبوا الشعر على حيطان متاريسهم... فكان
مجد الهواء المر للراديو:

- صوت فلسطين، صوت الثورة الفلسطينية...
كل ما تحبه كان يدافع عن التل، وكنت تصحو
ولهب الشمعة لا يزال يومض في الشمع الذي تجمّد
على يدك... ولكن القصيدة تذهب بعيداً في الهواء
المر، كانت النجدة التي تصل كل صباح ومساءً إلى
المقاتلين المحاصرين في التل...

يستطيع الشاعر أن يلقي بقفازه الآن، في وجه

كل من يحاول توجيه إهانة للشعر.

«محمد عبد الوهاب» أصبح يحمل رتبة لواء
بقرار من أنور السادات. حينما حوّل الخوذات
الفولاذية للمقاتلين إلى طبول، وبنادقهم إلى أبواق،
وقاد تلك الأوركسترا الملعونة، التي عزفت النشيد
الوطني الإسرائيلي في مطار القاهرة.

في ذلك الوقت كان سيد درويش، يغني في
الزنزانة.

ديوان الشعر الأول، كان اسمه المعركة. نشرته
- دار الفكر الحديث - في القاهرة وكانت صوت
الحركة الديمقراطية لتحرر الوطني... ودفع العمال
والفلاحون المصريون فاتورة المطبعة.

صدر ديوان - المعركة - في 27 كانون الثاني/
يناير 1952. في اليوم الثاني لحريق القاهرة، كان
في مطبعة لا أزال أذكر اسمها - مطبعة أورفند -.

ولقد دافع العمال المصريون عن مطبعتهم... ولم
يحترق ديوان الشعر.

- يا مصر...

يا مصر...

يا مصر...

وتّم تهريب ديوان المعركة، إلى مكتب شاعر مصري في جريدة الأهرام اسمه: «كامل الشّاوي»، وإلى بيت مصوّر مصري اسمه: «حسن التلسماني»، الذي قام برسم غلاف الديوان.

كانت هواية ومضت. كنت أحتفظ بمفتاح حجرة الفندق حينما أسافر. وكنت أضع مفتاح حجرة الفندق دائماً على طاولة في مقهى المطار الذي أمضي إليه... لعلّ شاعراً مسافراً لم يحجز له هذا النظام أو ذاك حجرة في فندق، يلتقط المفتاح ويمضي به...

كانت هواية ومضت.

كمن يلقي بحصان في زنزانة، ألقى أحد الرفاق المصريين بقصائد ديوان: «قصائد مصرية»...

لقد كتب الديوان في الزنازين المصرية، فخرج يحمل هذا العنوان.

في ذلك الوقت - كاتب من الصين - يبصق على - وجه ناظم حكمت - ويبقى وجه - ناظم حكمت - مرصعاً برذاذ النجمة الحمراء... أما ذلك - الكاتب من الصين - الذي بصق، فقد قتله أحد أفراد حرس الحدود الفيتناميين، وأنا أتخيله الآن،

وهو يضغط على الزناد ويصرخ:

- عاش ناظم حكمت.

إنهم يصطادون الغزلان بعربات الجيب التي
تركض خلف السرب. البنزين في العربة، والدم في
القلب وتستمر المطاردة.

يركض الغزال... يركض، ثم يسقط... ويذبحونه
وهو يلهث... واللهاث يصعد كالبخار الأبيض النازف
من القلب...

وهم يصطادون الشعراء أيضاً: بعربات
الجيب، بالصنارة، بالخطاف الحديدي أو الذهبي
وبالمسدس الكاتم للصوت أيضاً...

إلى دمشق جاء الشاعر السوفياتي: قيسين
كولييف، ذراعاه مثل مجدافين، تطوقانك... وفمه
يعدك بالبحر. جاء من جمهورية سوفياتية صغيرة:
جمهورية بلقاريا. ولكن قلبه كان يدق مع أبعد
نجمة. كانت قصيدة ذات يوم.

في موسكو... يطبعون صور الشعراء... وصور
رؤاد الفضاء، وفي بلادنا، تظهر صورة الشاعر - من
خلال مؤامرة - حينما يغتالونه، أو يوجهون إليه

هل لا بدّ من المضيّ في كتابة هذه المقدمة،
لما تسمّى بالمجموعة الكاملة؟ كيف يمكن لشاعر
أن يقول إنه قد اكتمل. البدر المكمّل ليذهب إلى
جهنّم... هو والشعراء الذين قد اكتملوا...

لقد كان الشعر دائماً وسيبقى... ضدّ كلّ ما -
اكتمل - في كل ثانية، تولد امرأة، لن تحبها...

أنا تولى سوفرونوف يقول:

- لقد ذهبت إلى مئة ألف بيت سوفياتي... كيف
قمت بكل هذه الزيارة لمئة ألف بيت، في خمسة
أيام...؟

مئة ألف نسخة، تزور مئة ألف بيت... من خمسة
آلاف نسخة، إلى مئة ألف نسخة، قام الشاعر
السوفياتي: أنا تولى سوفرونوف، بترجمة الشعر
الفلسطيني، أهدى نافذة فلسطينية إلى البيت
السوفياتي... من يد الشاعر السوفياتي الصديق:
- ميخائيل كورغانسيف، ذهب صوتي إلى الاتحاد
السوفياتي.

هذا الشاعر الذي قلبه قصيدة... كان لي شرف

تقديم درع الثورة الفلسطينية له، على خشبة
مسرح في أديس أبابا...

البروفة الثانية... لقد تمّ تصحيح أخطاء كثيرة...
كيف ستظهر بلا أخطاء..؟ كيف سيقراؤنك مثلما
يقراؤون ساعة حائط..؟ أو نشرة الطقس..؟

هذه القصيدة ضد جاويش... وتلك القصيدة ضد
ضابط... وضد جنرال تجيء قصيدة ثالثة... لماذا
حينما يأتي ذكر الجنرال، يأتي الشاعر الباكستاني:
«فايز أحمد فايز» حاملاً صوته الذي عليك أن
تسمعه، كأنك تتسلق جبلاً بكل الهبوط والصعود
فيه.

- تصعد جبلاً بواسطة الحبال، من أجل أن تقف
على غصن...

فايز أحمد فايز، يضحك مثل كأس، مثل قصيدة
تنتظرك في السرير... مثل أنا مارتينوفا، السوفياتية
التي أهدت إلي بعض الحجارة الخضراء الداكنة،
من براكين أديس أبابا...

لماذا تهدي امرأة سوفياتية... حجر بركان إلى
شاعر فلسطيني...؟

ها أنت «مصحح تماماً»... بالفتحة والضمة
وبالتسكين... بالفاصلة والنقطة. وها أنت تخرج
الآن... كسمكة إلى الصحن... لقد تمّ تنظيفك من
العشب والرمل... ومن رائحة البحر أيضاً...

لا أنا أحببت ألبرتو مورافيا، ولا هو أحبني، حتى
الصور التي التقطناها معاً، كانت صوراً تخرج
كالسمك الذي تجفد في الثلاجة...

كيف تضع صديقاً تحت الماء... لكي يذوب..؟ كان
عليه أن يكتب الغلاف الأخير، لقصائدي الإيطالية...
ولكنه أضع الذي كتبه عني في مطار القاهرة...
ذهب إلى أنور السادات...

حينما قابلته، كان لا يزال - في المنفضة -
سجائر وطن عربي، دعاه لزيارته... ألبرتو مورافيا...
والساقى في بار فندق ليوناردو دي فنشي في روما
يقول:

- لماذا تأتي قصائدك إلينا من يده...؟

ولم أذهب من يده إلى روما... وخرجت قصائدي
الفلسطينية المترجمة إلى اللغة الإيطالية... من يد
أخرى...

حينما طردوني من المدرسة... كمدرس، كان
عليّ أن أفعل شيئاً... هذه المدينة، التي احتفظت
بالتاريخ، داخل قرص من العسل، مغلف بالشمع...
هي مدينتي...

أول منشور سرّي كتبته وطبعته ووزعته كان
لها... وحينما كنت لها... كانت لي...

وكان على المدينة التي احتفظت بالتاريخ، في
قرص عسل مغلف بالشمع، أن تحتفظ بالجغرافيا،
داخل قرص من الدم...

التاريخ يتبع الجغرافيا... وحينما لا يكون هنالك
بيت لك... كيف يمكنك أن تشعل النار وتذكّر
خواتم المطر... في أصابع الشوارع...

لا فائدة من المطر الذي يسقط الآن... فوق زجاج
النافذة... ليكتب شيئاً ما، ولا جدوى من رفع ذنبك
إلى أعلى أيها الحوت... لا جدوى من الاحتجاج...
على الصنارة... على الخطاف، على السكين...

لن نعبّر الجسر معاً...

لن نكتب الشعر معاً...

لن نركب السفينة التي فردنا فوقها الأشرعة...

لن نغني معاً...

فأجمل القراصنة...

يموت في حقيبة من المياه الآسنة...

كعلبة من الورق مختومة وطازجة، توشك أن
تخرج من المطبعة... كل تلك البحار... والشواطئ...
والموانئ... التي مررت بها... موجة فوق صحن...
تؤكل بالشوكة وبالسكين...

عاش محمد عبد الوهاب - زمن الخيانة -
فأصبح لواء... ولو عاش أحمد شوقي - أمير
الشعراء - لأصبح فريقاً...

محمد عبد الوهاب... ضد سيد درويش... وأحمد
شوقي ضد المتنبي.

في هيكل قديم للعبادة... في ضواحي
مانيلًا - عاصمة الفيليبين - كانت ليلة للشعر.
شعراء آسيا وأفريقيا، مشوا بين المشاعل... لكي
يلقوا بقصائدهم...

- يا ريتا بلتزار... أيتها الفيليبينية... التي تظهر

لمزة واحدة فقط... تحت جناح طائرة... تدور
محركاتها... أو فوق سرير... يتأهب للإقلاع...

ما هو رقم الحجرة، في فندق القرية، في
مانيلأ... حيث كان على الجزيرة، أن تتحول إلى
صدفة، ثم إلى زورق...؟

- إضرب الأرض... حتى يتفجر الماء...

يجيء صوت: ياسر عرفات...

وضربنا الأرض بأقدامنا العريانة، وتفجر النفط...
هنا وهناك...

كل ما أملكه من هذا النفط الذي فجرته بقدمي...
هو ثلاثمئة لتر من البنزين... يذهب للسيارة التي
تمشي بي... لكي أصل إلى وطني... إلى حجرة
مكتبي...

ولكن طائرة إسرائيلية واحدة... تقصف المخيم
الفلسطيني، في صور، أو صيدا، أو النبطية، تقصف
وفمها مليء بالنفط العربي... تعرف جيداً، أن أنور
السادات، لم يخن فجأة... على امتداد عامين، وهو
يقول لهم: إنه سوف يخون...

كانوا يعرفون أنه سيخون ولكنهم كانوا
ينتظرون.

كانوا يريدون من يخون باسمهم، بالنيابة عنهم...

كانوا يريدون شخصاً ما ينكحهم من عيونهم... من
آذانهم... كانوا يريدون من يبصق في فمهم... من
يبول في خوذتهم الفولاذية...

في الوقت الذي تكتب فيه القصائد المصرية
في الزنازين... يتم في استفتاء رسمي، طرد وجه
مصر... من زجاج كل النوافذ...

أبو الهول الذي لم يتكلم طوال عمره... لم يذهب
إلى صندوق الانتخاب... ولكنني أعرف أنه قال:

- لا...

إنهم يضربون التاريخ فوق أنفه، ولكنهم لن
يستطيعوا أبداً، أن يجزّوه من قدميه إلى صندوق
الانتخاب... حيث عليه أن يقول:

- نعم...

- لقد ذهبت في الشعر أكثر مما يجب... لا
حجرة لك في فندق... ولا كرسي لك في طائرة...
وعليك أن تمضي إلى المطبعة الآن... سمكة في
آنية زهور... فنجان من القهوة لسفينة تغرق في
الصباح...

هذا الهواء المر... هذا العطر المر... هذه الكهرباء
المرّة، التي نشربها كل ليلة...

- لماذا رسول حمزاتوف يضع زجاجة من الكونياك الأرميني في قفل حجرتك..؟ ويدخل إليك. ويضع تحت وسادتك... زجاجة من الكهرباء المعتقة...؟

أمضيت سنة في عمّان - في مدرسة المطران - كنت أقطع جبلين لأصل في الوقت المحدد. وتأخرت ذات صباح، الجبل يذهب بك بعيداً، إلى الدرجة التي تريد فيها أن تغطس فيه.

كان المدرس المناوب، في ساحة المدرسة، حينما نظر إلى ساعته وتطلع إليّ، ولم يتكلم... مضيت إلى ملعب كرة القدم، كان عقاب التلميذ الذي يتأخر، أن ينظف ساحة ملعب الكرة من الحصى والحجارة والشوك، وفي رياح الشتاء.

تمضي بكفين داميتين مسلّختين إلى حجرة الدراسة، وتحاول أن تمسك بالقلم. حاول أيها الصديق. الكراسي أصبحت مخضبة.

تكبر، تذهب بعيداً أكثر في الجبل، أو تذهب بعيداً أكثر في البحر، وتتأخر ويكبر العقاب.

والذين تكتب لهم، لا يعاقبونك، بتنظيف ملعب

لكرة القدم من الحصى والحجارة والشوك، ولكن
بتنظيف ملعب الوطن كله.

حذار أن تلعب بقلب الثورة، هذه المرأة العاشقة،
التي كلما يطلقون عليها الرصاص تحبل. وتلد دائماً
حينما تموت. والتي حينما تلمسك نارها يصبح فمك
فراشة وفمها نجمة. وحينما تضع قطرة ماء وحبّة
رمل في سُرَّتِكَ، تصبح حصان الكون، الذي تتكسّر
على عنقه الطويل، أمواج كل البحار.

ولقد عاقبوني...

عاقبوني وأنا تلميذ صغير، فجمعت الحصى
والشوك والحجارة من ملعب لكرة القدم، وعاقبوني
منذ أن بدأت أكتب الشعر، فرحت أنظف ملعب
الوطن، من ألغام الكتابة الرديئة - من الشعراء
الألغام - الذين ينفجرون في وجهك، من بين
أوراق كتاب، حينما لا يذهب الشهيد إليهم بزهرة
قبره، ويضعها على عتبة بيتهم، ثم يمضي عائداً
إلى قبره...

آه...

لم يكن تروتسكي يكره شيئاً اسمه: الشعر كما
كان يكره: ماياكوفسكي. شاعرة الثورة، كان يعرف
من هو: خائن الثورة.

في كل ثورة كبيرة، هناك شاعر كبير. إنه قبلها
يكون - تكون فيه - وبعدها يكون - يكون فيها -
وبين بطل الثورة، وبين شاعر الثورة، شجرة
زيتون، تصعد أو تهبط الدرج. الثورة لا تستخدم
المصعد الكهربائي. والبطل هو الفتيلة في القنديل،
والشاعر هو الزيت..

عرفت جيداً من حاولوا استبدال الماء الرمادي
بالزيت، وحين لم يأتهم الضوء، فجروا كل قناديل
- أضواء النيون - انفجروا... كالرماد الأبيض...
انطفأوا...

لا جواز سفر يا ماياكوفسكي... ولا تأشيرة
خروج...

مسدسك إلى جانبك وأنت تكتب...

قل لهم: إن الشعر هو رائد الفضاء الأول، ليس
إلى كوكب قريب أو بعيد، بل إلى ذلك الإنسان الذي
أراد أن يكون صديقاً للشعر... فلم يكن له غير صوت
انفجار الرصاصة في رأسه.

الشعر والبنديقية. قبل نزول البنديقية
الفلسطينية إلى البحر - سفينة - تحمل فوق
سطحها: مطبعة. كانوا يعتقلونك بمسدس،

ويترجمونك بكرباج، وكنت تذهب ودمك فوق
وجهك إلى كل مكتبة دموية.

الآن فوق زجاج نافذة في بيت، هنا وهناك في
أحد بيوت هذا العالم، تترجمك بندقيتك. والبندقية
مثل المطبعة، ترتكب بعض الأخطاء، ولكنها...
تعرف، كيف تطبع عشرات الشعراء على الورق...
على الزجاج، ولكنها تطبع شاعراً واحداً على كفتها...
وتمضي... به وبها...

تنظر إلى تلك الكف... وتحلم أن تكون، نقطة أو
فاصلة، أو قطرة من الحبر، لو سقطت على كف
الوطن، لتحولت إلى شامة...

وها هي ما يسمونها «بالمجموعة الشعرية
الكاملة»... يسقط الدم ويسمونه حبر الشعراء...

وعليك أن تحافظ على تلك المحبرة. فما أكثر
الذين يريدون قلبك - منفضة لسجائرهم -
وأنت تريد أن تصرخ طوال الوقت، وأنت ترى إلى
قصائدك تصرخ - مع البحار - في أعلى السارية:

- جزيرة جديدة في الأفق.

- قصيدة جديدة.

معين بسيسو

بيروت - مايو/أيار 1979

مقدمة

سميح القاسم

«ماردٌ من السنابل»..

ماردٌ من الثورة والشعر

لهذا المارد اسمٌ هو معين بسيسو، معين توفيق بسيسو، «أبو توفيق»، كما أحبُّ وأحببنا أن نخاطبه، وأبو توفيق معين بسيسو شاعرٌ كبير. استمدَّ كبره وكبرياءه من مَنْجَمِينَ عميقين وثرِيِّين: منجم الالتزام الثوريِّ ومنجم الإبداع الشعريِّ. وإنجازات معين الشعرية والمسرحية ونثرياته اليومية الحياتية اللامعة، كانت وينبغي أن تظلَّ ركناً راسخاً ومضيئاً من أركان الثقافة العربية الفلسطينية، بأبعادها الوطنية والقومية والأممية. وإقدام الأخت والرفيقة الرائعة صهباء والإبن البار الأصيل توفيق، على إعادة طبع الأعمال الكاملة لمعين بسيسو، لا يجوز وضعه في خانة «إحياء الذكرى»، لأن ذكرى معين لم تمت ولن تموت، حتى يعمل أحد على «إحيائها». هذا المشروع الكبير والجميل والمدعوم من رفاق أبي توفيق، وأنا واحدٌ منهم، هو الردُّ المناسب في الوقت المناسب والمكان المناسب، على دعاة النكوص عن ثقافة المقاومة والحرية والسلام، والانحناء للموجة الذليلة العكرة، التي تروج لثقافة الخنوع

والاستسلام بذرائع هابطة وركيكة، فلا الوطن تحرّر
ولا الشعب استقلّ ولا الدولة ذات السيادة تحققت،
وما زالت القدس عاصمة روحنا وتاريخنا وحلمنا،
عرضة يومياً لمشروع التهويد الهمجي.

منذ فتوّتي الشعرية عرفت أسماء أبي سلمى
وعبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان وفدوى
طوقان وسلمى الخضراء الجيوسي ومطلق عبد
الخالق وآخرين وأخريات من شعرائنا الأفاض
وشاعراتنا المبدعات، وكان واضحاً لي ولزملائي
ورفاقي راشد حسين وتوفيق زياد ومحمود
درويش وسالم جبران وشكيب جهشان وجمال
قعور، وسائر الأشقاء والشقيقات الذين لا يقلل من
شأنهم هنا عدم تسجيل أسمائهم، فما أنا بصدد
دراسة أكاديمية، وتقتصر مهمتي هنا على تسجيل
ملاحظة تقول: إنه كان واضحاً لنا أننا لم «نطلع
من حائط»، بل نحن نواصل مسيرة شعرية باذخة
وراسخة، وعلى هذه القاعدة الصلبة وضعت كتابي
المنشور بالتعاون مع اليونسكو في حينه، الكتاب
التوثيقي «مطالع من إثنولوجيا الشعر الفلسطيني
في ألف عام»، وفي ذلك الكتاب حضور بارز لمعين
بسيسو، بما يستحق طبعاً، وتضمّن قصيدته
الشهيرة بعنوان «القصيدة» والتي نشرتها له في
كتيب صدر عن منشورات «عزبسك» في حيفا
تحت عنوان اخترته لها بموافقة معين هو «أبدأت

نحصي أضلعك؟»، ومع لوحات خاصة مستوحاة من القصيدة أنجزتها الفنانة سعاد نصر. وحين علم معين بصدور قصيدته في حيفا فقد فرح كثيراً وانطلق مداعباً القائد الأخ ياسر عرفات ورفاقه: «أترون؟ لقد عدتُ إلى فلسطين قبلكم. أنا في حيفا الآن مع سميح القاسم. أترون؟»

وللأمانة التاريخية، فقد كابت علاقةتي بمعين بسيسو مرحلة قصيرة من الجفاء والخصام في العام 1970 بقدر ما أذكر. آنذاك جاءتني الشاعرة الرائعة فدوى طوقان بقصاصات من الصحافة اللبنانية تحمل هجوماً عليها وعليّ من معين بسيسو ومحمود درويش. بكت فدوى المعروفة برقّتها ودمائة أخلاقها، فهدأت من روعها وكتبت ردّاً عنيفاً نشرته آنذاك جريدة «الفجر» المقدسية اليسارية وأعدت نشره الصحافة اللبنانية وانقسم المثقفون الفلسطينيون واللبنانيون والعرب إلى «حزبين»، وعلم القائد الأخ ياسر عرفات «بالمعركة الميليشياوية» فاستشاط غضباً وكلف الأخ شفيق الحوت (بشهادة الأخ يحيى يخلف) بوضع حدّ فوري لهذا «الاشتباك» غير المبرر، فنشر معين ومحمود اعتذاراً تصالحياً في وسائل الإعلام الفلسطينية وأرسلت إلينا نسخة منه نُشرت عندنا، وعبرت السحابة القاتمة المفتعلة وعادت المياه إلى مجاريها الطبيعية، وبما يليق بالأشقاء والرفاق على

ساحة واحدة وفي خندق مشترك.

وفي العام 1978 تلقيت دعوة من الدكتور هشام شرابي للمشاركة في مهرجان يقيمه الخريجون الجامعيون العرب الأميركيون في مدينة منيابوليس في الولايات المتحدة. ولبيت الدعوة، والتقيت هناك بمعين بسيسو ومحمود درويش، واتفقنا على تقديم أمسية شعرية مشتركة في قاعة تتسع لقرابة ألف شخص. وكانت أمسية من أجمل الأمسيات. كانت مفعمة بالمحبة والدفء والعنفوان والشعر، وحاصرنا الجمهور بطلب الصور والتواقيع، ولاحظنا، محمود وأنا، أن «معين» كان متجهماً بعض الشيء. ولاحظ ذلك أيضاً، صديقنا الدكتور هشام شرابي فسأل «معين» عن سرّ تجمهه فردّ معين محتجاً: هذه القاعة صغيرة علينا، فكيف تضعون ثلاثة حيطان في بانيو؟

ضحك هشام شرابي مرتباً على ظهر معين: أنت على حق يا أبا توفيق، هذه القاعة صغيرة عليكم ولكننا لم نجد هنا قاعة أكبر منها. في المرة التالية سنحجز لكم أكبر قاعة في الولايات المتحدة. المهم أن تعدونا بزيارة أخرى وأمسية أخرى.

وابتسم ماردي السنابل والالتزام والشعر قائلاً: نحن جاهزون دائماً لتلبية نداء شعبنا في كل زمان ومكان. نحن منكم ولكم ومعكم إلى آخر العمر.

وهذا ما كان فعلاً. ظلّ معين بسيسو منا ولنا
ومعنا إلى آخر أيامه وإلى آخر خفقة من قلبه الكبير
والجميل، في فندقٍ لندنيٍّ غائمٍ بعيد.

ويا صهباء وتوفيق وكل الرفاق والأصدقاء
الأوفياء، نحن لا نحیی ذكری معین بإعادة طبع
أعماله الإبداعية الرائعة، فذكری معین لا تموت
«وهو يدري كم نحبّه»، لكننا نجدّد العهد على
مواصلة المسيرة على درب الآلام وطريق الحرية
والسلام والمقاومة والإبداع. هذا هو طريقنا الذي
اخترناه وشققناه معاً. وأبدأً على هذا الطريق..

سمیح القاسم

الرامة - كانون الأول 2013

المُسَافِر

نافذة الكهف

في مكانٍ ينهارُ فيه الجناحُ

وتسوقُ الزمانَ فيه الرياحُ

ويفوخُ النسيانُ الهتهُ الموتُ

كأفعى قد ألهتها جراحُ

ويخافُ السكونُ منه كطفلٍ

علقتُ في ثيابه الأشباحُ

كوكبٌ ترصد النهاية عيناه

ولا شاطئٌ ولا ملاحُ

ليس فيه من الحياة سوى الليل

ضرباً يقوده مصباحُ

وصحارى من العواصف تلتفُ

عليها من اللظى أدواخُ

وسماءٌ من الخرائب تجتاحُ

سماءٌ نجوؤها أرواحُ

صورٌ من براعم الموت فاحث

في عيونٍ دموغها أقداخُ

ليس تدري آفاقها من شذاها

أبِنَ يَهُوَى الْمَجْدَافُ وَالْإِصْبَاحُ

وَهِيَ مَا أَوْرَقَ الْفِرَاقُ دِلَاءً

وَهِيَ مَا أَجْدَبَ السُّكُونُ رِمَاحُ

أَنَا فِي النَّهْرِ صُورَةٌ كَسَرَتْهَا

يَدُ أَعْمَى خِيَالُهُ لَمَّاحُ

فَتَمَاسَكْتُ عَالِقًا بِظِلَالِي

وَهِيَ تَطْفُو كَأَنَّهَا أَلْوَاخُ

وَتَلْفَتُ وَالرَّجَاءُ غِرَابُ

ضَلُّ، وَالْيَأْسُ طَائِرٌ صَدَّاحُ

وَالْمَصِيبُ الْعَمَلِقُ أَعْوَزُ كَالشَّمْسِ

قَدْ اجْتَاخَ رَأْسَهُ مَجْتَاخُ

وَحَرَامٌ عَلَى الْمَصِيبِ ابْتِلَاعِي

وَأَنَا مِنْهُ جَدْوَلٌ فَوَّاحُ

فَنَيْتُ قَوْتِي وَمَاتَ حَرِيرِي

وَدَعَانِي هَدِيرُهُ الصِّيَّاحُ

فَتَلَعَّثَمْتُ ثُمَّ نَادَيْتُ لَبِيكَ

وَجَدَّفْتُ وَالهُوَى فِصَّاحُ

وَإِذَا التَّهْرُ وَالرِّيَّاحُ دَمَوْعُ

في مآقيه والخريز نواخ

نفضته أعماقه وتغشى

ضفتيه من الضباب وشاخ

فجرى عاصفاً وحول مجراه

شتاءً مزلزل وكفاخ

لمعة

أينَ عيناكِ تبصرانِ شموعي

وهي تذوي على زكامِ دموعي

أينَ عيناكِ تبصرانِ عصافيرَ

شبابي في عنفوانِ الربيعِ

ظامئاتِ تُنقِرُ الحجرَ

الراشحِ ألقتهُ ثورةُ الينبوعِ

جائعاتِ تلوكِ ما قطعَ الزارعُ

من زهره الهزيلِ الصريعِ

لاهثاتِ كأنها نَفَسُ النجمِ

وراءَ السحابِ قبلَ الطلوعِ

أينَ كفاكِ تجمعانِ الذي

يسقطُ من عقدِ عمري المقطوعِ

فهي قد جمَعتهُ من صدفِ الشا

طيِّ أمي ومن غريبِ الزروعِ

أينَ عيناكِ أينَ قلبكِ يسترجعُ

دقاتِ قلبي المَفجوعِ

وهو كالطائرِ الرضيعِ وقد أصبح

فوق الغصون غير رضيع

يبصرُ الريح وهي تعتصر النهرَ

وتلقيه كومةً من نجيع

غير أني على الخرائبِ وحدي

سأهراً أصطلي لهيبَ شموعي

أرقبُ النجمَ وهو نورٌ منيعٌ

يترامى على الفضاء المنيعِ

وأشمُ الأمواجَ وهي قرابينُ

تُضحّي للزورقِ المصدوعِ

وأحسُّ الطوفانَ وهو على القمةِ

يتلو بصوتهِ المسموعِ

قصةَ اليأسِ وهو يمشي على الأر

ض برأسٍ مكللٍ مرفوعِ

الجبل الزاني

عصا جَرَسِي هذا هو الجبلُ الزاني

وهذا هو الرَجَامُ ذو التَّفَيسِ الفاني

فلا تطرقي شَبَاكَهُ فهو شمعةٌ

تُخبئها الظلماءُ عن نجمك الداني

ولكن أضيئي خطوةً في طريقه

فإن الضياءَ الحرَّ خطوة إنسانٍ

فهذا سياجٌ لم يكن ظلٌّ طائرٍ

ولكنه ظلٌّ لصخرة سَجَانٍ

هو القفْرُ لا يسقي وكم في دلائه

من الجبلِ المرجومِ أنجمٌ غدرانٍ

عصا جرسِي قد تسعد الطيرَ زهرةً

تفوح به أو يسعدُ الطللُ الباني

وما النَّارُ إلا باصطلاءِ جذورها

تعيش فكوني المُضْطَلِّي الساهر الحاني

وهذا ترابٌ لم تنزل فيه ناره

وإن زاد عنها الريحُ مُظْفِئُها الجاني

فلقي من الأحطابِ تمثالَ غاية

ونادي له القاصي ونادي له الداني

فقد كان ميناة الحياة رصيفها

وداع لألوان لقاء لألوان

وحين يضيء الليل كل نجومه

وتعلو من الأمواج صيحة طوفان

أريقي به النار التي لم تُرق به

وإن سكتها فيه قلبك عينان

ونادي له الطفل الذي لم يزل له

ليحرق أحلام الحياة بأغصان

وقولي له والسحب تهوي بجمره

وترسم ألواحاً بربشة ربان

سلام مجير الطفل من ثدي أمه

سلام غريق لا يلوح بشطآن

النمل

أتظمئ عينيكَ السماء وتستسقي

وأشربُ من نهر التراب وأستبقي

وتعلو أعشاش النجوم بنخلة

من الريح أعلوها بسنبلة الغمقي

وتشمخُ في قش الفراغ منقراً

سحائب أنفاسي فيمطرُ بي خفقي

وأمخرُ رايات الرياح لخيمة

مُعششة الأسوار في جبل الرقي

وأشرف من نجم السياج ملوحاً

إلى النمل مطروف الحصاد على الأفقي

فرطت بمحراثي غصوني لنملة

وكم نملة شجراً تصفر في عرقي

تسامر عينيها قيود من الحصى

فتنعس والأصداء موهلة الطرق

كجارية الأحلام في برعم خبا

به الليل أغفت كالحمامة في الطوق

حكايتها والشمس خيظ غزلة

حكاية مصباحي المسافر في الشرق

تعلق في ثوبي كموودة رأيت

ضفائرها واللّيل يبزغ للنطق

إلى غُدرٍ أمشي وطِيَّ عباةتي

غديرٌ وقيدٌ صام فيه عن الحرق

أريق له ناري على ساق شمعة

تقاذفها جزر الهدير إلى عنقي

وأنت بمجداف السماء تزورني

تُكحلُّ عيني بالزوابع والبرق

وشمسك في ليلي فضاء سلكته

إليك وأغلالي تجاذبني عتقي

ترابي في كفي وريحي وطائرٌ

أناخ جناحيه وأغمض في أفقي

الميلاد...

هذه الريح وهذا الجبلُ

وأنا والمنتهى والأجلُ

والجناحانِ ويلي قَفْصُ

والسياجُ الأبيضُ المكتحلُ

أيُّ أنغامي الذي يسمعني

قِمَمٌ تعزفُ فيها السَّبُلُ

والذي تبصرُ عيني غُضْناً

والذي يبصرُ عيني طَلُّ

هذه الريحُ وهذا الجبلُ

وأنا والمنتهى والأجلُ

حطبُ يُبحرُ في النَّهرِ وفي

صدره النَّارُ التي تشتعلُ

نسي الرفشُ عليه أثراً

ذَكَرَ الحطابُ فيه البَلُّ

فعلى أيِّ ترابٍ تنحني

هذه الشمسُ التي تبتهلُ

وعلى كلِّ ترابٍ صنمٌ

وعلى كل سماءٍ بطلٌ

هذه الريح وهذا الجبلُ

وأنا والمنتهى والأجلُ

والطريقانِ وحبِّي أثرٌ

أتخطّاهُ وسيري مللٌ

والتي قد رحلت في أثري

لم تعذ منه وعادَ الأملُ

أشموعي والدّجى يذرفها

فصباحي أنجمٌ تنهملُ

والتدى الإنسان في سُنْبُلَةٍ

حلمه في ساقها يُقتتلُ

هذه الريحُ وهذا الجبلُ

وأنا والمنتهى والأجلُ

وظلالِي أدمعُ يَسْكُبُها

وقيودٌ قد رماها الجبلُ

يومَ ميلادي الذي قد نزلت

فيه أيّامي وأهلي نزلوا

نصّبوا لي شمعةً تحرسني

ومشوا في ضوئها وارتحلوا

فإذا دقَّ بصدري نَفْسُ

قرعوا أجراسهم واعتزلوا

هذه الريحُ وهذا الجبلُ

وأنا والمنتهى والأجلُ

ها هي النارُ مشت صَخْرَتُهَا

في التماثيلِ دماً يشتعلُ

دَثْرِي جرحي فلا تطفئه

كلَّ ريحٍ جرحها مندملُ

المسافر

فتح الإنسان عينيه وقال

لا أرى آثارَ طفلي في الرمال

أينَ ولَّى أينَ يا شمسُ وهل

من لظى عينيكِ تحميه الظلال

أينَ ولَّى أينَ يا ريحُ وهل

حين تشتدينَ تؤويه الجبال

أينَ ولَّى أينَ يا سحْبُ قفي

واسمعي منه أغانيه الطوال

فهو صوتُ البحر سهران على

شمعة الأيام تخبو والليال

وأنيبُ الغصنِ سهرانُ على

صرخة الطائر تدميه الحبال

وارتعاشُ القفر مَسَّتْ قلبه

نسماتُ من سراپٍ وخيال

واهتزازُ الجبل السكران في

قلبه البركان قد غنَّى ومال

وانتفاضُ الكوكبِ النائى رأى

قدم الكلب على عُنقِ الغزال

وصراخُ العبدِ في النار هوى

حاضناً أغلاله السودَ الثقَالِ

وغفا الإنسانُ إلا شمعَةً

زادها الفجرُ اشتعالاً في اشتعالِ

وعلى أضوائها الحمر مشى

ذلك الطفلُ السماويُّ الجمالِ

حاملاً إكليلَ زهرٍ لم يلدْ

مثلَه غصنٌ على تلكِ التلالِ

وإذا ما اشتبكتْ أظلاله

بظلالِ الفجرِ ألقاهُ وقالِ

حمل الناسُ الأمانِي مثلما

حَمَلتْ عوداً من القشِّ النِمالِ

أمطري يا هذه السُخبُ فلنْ

تطفُسي آثارهم فوق الرمالِ



والذي قد مررتنا لنا الحياة
للثورة الكبرى على الغدوة انداد الحياة
نظمتنا ببارفتنا في عجم المعركم
تجددنا برفق نومنا العزم
بجملنا زاننا بارفوق المعركم
هـ عزمنا بيسير

المَعْرَكَةُ

المَعْرَكَةُ

أنا إن سَقَطْتُ فخذْ مَكانِي يا رَفيقي في الكفاح
واحملْ سِلاحِي لا يَخفَكَ دمي يَسيلُ من السِلاحِ
وانظرْ إلى شَفتِي أَطبقتا على هوجِ الرِياحِ
وانظرْ إلى عَينيَّ أَغمضتا على نُورِ الصِّباحِ
أنا لم أُمُتْ! أنا لم أزلْ أدعوكَ من خِلفِ الجِراحِ

فاحملْ سِلاحَكَ يا رَفيقي واتجِهْ نحو القِنالِ
واقرغْ طبولَكَ يَستجِبْ لَكَ كُلُّ شَعبِكَ للقتالِ
وارعِذْ بصوتِكَ يا عبيدَ الأرضِ هُبُّوا للنِضالِ
يا أيها المَوتى أفيقوا: إنَّ عَهْدَ المَوتِ زالِ
ولتَحْمِلُوا البُرُكانَ تقذِفُهُ لَنا حُمُرُ الجِبالِ

هذا هُوَ اليَومُ الذي قد حَدِثتُهُ لَنا الحِياةُ
للثورةِ الكَبرى على الغِيلانِ اعداءِ الحِياةِ
فإذا سَقَطنا يا رَفيقي في جَحيِمِ المَعْرَكَةِ
فانظرْ تجذَّ عَلماً يَرفرفُ فوقَ نارِ المَعْرَكَةِ

ما زالَ يحمِلُهُ رِفاقُكَ يا رِفيقَ المعرِكةِ



المدينة المحاصرة

البحرُ يحكي للنجوم حكاية الوطن السجين
والليلُ كالشحاذ يَطْرُقُ بالدموعِ وبالأنينِ
أبوابَ غزةٍ وهي مغلقةٌ على الشعبِ الحزينِ
فيحركُ الأحياءَ ناموا فوقَ أنقاضِ السنينِ
وكأنهم قبرٌ تدقُّ عليه أيدي النابشينِ

وتكادُ أنوارُ الصّباحِ تُطلُّ من قَرطِ العذابِ
وتطارِدُ اللَّيْلَ الذي ما زالَ موفورَ الشبابِ
لكِنَّهُ ما حانَ موعدُها وما حانَ الذهابِ
المارِدُ الجَبَّارُ غَطَّى رأسَهُ العالي الترابِ
كالبحرِ غَطَّاهُ الضبابُ وليسَ يقتلهُ الضبابِ

ويُخاطِبُ الفجرُ المدينةَ وهي حيرى لا تجيبُ
قُدَّامها البحرُ الأجاجُ وملؤها الرملُ الجديدُ
وعلى جوانبها تدبُّ حُطى العدوِّ المستريبِ
ماذا يقولُ الفجرُ هل فُتِحَتْ إلى الوطنِ الدروبُ

فَنودِعُ الصَّحراءَ حينَ نَسِيرُ للوادي الخصبِ؟

لسنابلِ القمحِ التي نَضَجَتْ وتنتظرُ الحصادَ

فإذا بها للنَّارِ والطيرِ المشرَّدِ والجراذِ...

ومَشَى إليها الليلُ يلبسُها السوادَ على السوادِ

والتهرُّ وهو السائِخُ العَدَّاءُ في جبلِ ووادِ

ألقى عصاهُ على الخرائِبِ واستحالَ إلى رماذِ

هذي هي الحسناءُ غزَّةُ في ما تمها تدوزُ

ما بينَ جوعى في الخيامِ وبينَ عطشى في القبوزِ

ومعدَّبٍ يقتاتُ من دمهِ ويتعصرُ الجذوزُ

صورٌ من الإذلالِ فاغضبَ أيها الشعبُ الأسيزُ

فسياظهمُ كتبتُ مصائرنا على تلكِ الظهورِ

أقرأتُ أم ما زلتُ بكاءً على الوطنِ المُضاعِ؟

الخوفُ كَبَلٌ ساعديكَ فَرَحَتْ تجتنبُ الصِراعِ

وتقولُ إنِّي قد غرقتُ وشَقَّتِ الرِيحُ الشِراعِ

يا أيها المدحورُ في أرضِ يضجُ بها الشعاعِ

أنشدُ أناشيدَ الكفاحِ وسز بقافلةِ الجياغِ



السيول

لم يترك السيلُ غيرَ الحبلِ والوثِدِ

من ذلك الشعبِ أو من ذلك البلدِ

وغيرَ بعضِ العرايا الساحبينَ على

تلك الوحولِ بقاياهم من الولدِ

وغيرَ ما شاهدتُ عيناك من جثثِ

منفوخةٍ لم تزلْ مجهولةَ العددِ

هنا حُطامٌ هنا موتٌ هنا غرقٌ

هنا بقايا رغيِفِ عالقِ بيدِ

هنا الغيورُ التي تصطكُ ميَّتةً

هنا الشفاهُ التي تدعو لثأرِ غَدِ

تلك البقيةُ من شعبي ومن بلدي

ما بينَ باكٍ ومجنونٍ ومُرتعدِ

تلك البقيةُ من شعبي فذاك أبي

وتلك أمي وما في الخيشِ من أحدِ

إن جئتَ تسألُ عن أطفالها صرختُ

وقهقهةَ السيلِ لم تحبلِ ولم تلدِ

يا مَنْ نصبتَ لهم سودَ الخيامِ على

ضفر الرمالِ لقد غاصت إلى الأبدِ

ألسّت جلاّدهم فاريظ غريقَهُم

واسحبه خلفك بالأمراسِ والزردي

واترك لأطفاله آثارَ جثته

دماً توهّج فوق الرملِ والزبدِ

دمٌ سترعش قلب الأرضِ صرّخته

يا نارُ قد صحت الأمواتُ فاتقدي



تحدي

أنا لا أخاف من السلاسلِ فاربطوني بالسلاسلِ
من عاش في أرض الزلازل لا يخاف من الزلازل
لمن المشانق تنصبون لمن تشدون المقاصل
لن تطفئوا مهما نفختم في الدجى هذي المشاعل
الشعب أوقدها وسار بها قوافل في قوافل

أنا لا أخاف من العواصفِ فاعصفي بي يا عواصف
أنا لي رفاق في دمي تدوي رعوذهم القواصف
وتضيء في عيني خاطفة بروقهم الخواطف
وتسيل من كفي جارفة سيولهم الجوارف
أنا لا أخاف ومن أخاف ولي رفاق يا عواصف؟

قد أقسموا والشمس تُرخي فوقهم حُمرة الضفائر
أن يطردوا من أرضنا الخضراء تجار المقابز
ويحزروا الإنسان من قيد المذابح والمجازر
ويحزروا التاريخ من قلم المغامر والمقامز

فَنَحَقُّ الْوَطْنَ الْكَبِيرَ لَنَا وَنَزْرَعُهُ مَنَايِزَ

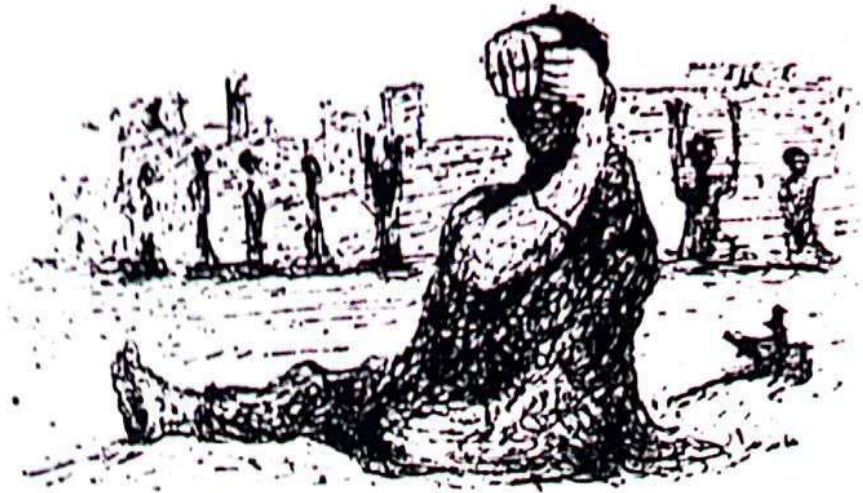
هَآ هُمْ هِنَاكَ أَخِي هِنَاكَ هَوُوا صَوَاعِقُ فِي صَوَاعِقُ

فَانظُرْ لِمَنْ زَرَعَ الْمَشَانِقَ كَيْفَ تَحْضُدُهُ الْمَشَانِقُ

وَانظُرْ لِمَنْ حَفَرَ الْخِنَادِقَ كَيْفَ تَدْفِنُهُ الْخِنَادِقُ

هُم قَادِمُونَ أَخِي لَقَدْ رَكَّزُوا عَلَى الْفَجْرِ الْبِيَارِقِ

وَهُوَ وَرَاءَهُمُ الظَّلَامُ الْمَيْثُ تَأْكُلُهُ الْحِرَائِقُ



دقت الساعة

ليس ذنبي إن كان للنور قبرٌ

في بلادي وللمكافح قبرٌ

وتفشى الظلامُ كالداءِ لا

يوقف طوفانه المدمرَ فجزُّ

إنني أكتبُ الحقيقةَ لكنْ

ثورة الحقِّ في بلادي كفزُ

قلمي في الحديدِ في ظلمةِ

السجنِ طريحِ مكبَّلٍ لا يصِّرُ

نفسي حائمٌ يفتشُ في

الظلمةِ عن منفذٍ ولا يستقرُّ

أبدأً أرفعُ العيونَ إلى

البابِ ولا حاملٌ شعاعاً يمرُّ

وإذا ما سمعتُ دمدمةَ الريحِ

تدوي قلثُ العواصفِ كثرُ

سوفَ تجتاحُ حائظَ السجنِ يوماً

فوراءَ القضبانِ يلهثُ حرُّ

غيرَ أنَّ الأيامَ تمضي وتمضي

وأنا شمعةٌ تذوبُ وفكرُ

وأمدُّ الأنفاسِ مدَّ غريقِ

أينَ من موجهِ الشديدِ المفزُ

أينَ شعبي لقد تذكرتُ أتي

لي دينٌ في عنقه لي غمُ

أينَ أنفاسُهُ تحطُّمُ قيدي

أينَ ثارتهُ أما لي تارُ؟

إنَّ شعبي العملاقُ في القممِ

مثلي وفوقهُ الليلُ بحرُ

ويُعاني الذي أعاني وهل

يفرُحُ نسرٌ وفي السلاسلِ نسرُ!

وهو لا بدَّ حاطمٌ قيدهُ الأسودَ

يوماً والنصرُ يتلوهُ نصرُ

فإذا الصرخةُ الكبيرةُ ثدوي

وإذا العالمُ المقيّدُ حرُ

البساطُ الكبيرُ يفرشُ للظافرِ

قومي افرشيه فاليومُ خمزُ

وغدٌ نحنُ من صنعنا غدَ

العالم عمدانه الأيادي الحمز

للملايين يفرحون به العمر

فما فيه ظلمة أو قفز

قد جعلنا الإنسان أئمن ما

فيه له الأرض والسماء مقر

وجعلناه كالرياح طليقاً

غده في يديه نور وزهر

غدا أيها القريب لقد أوشك

يمشي على الطريق الفجر

نحن لن نترك السلاح وفي

الأرض أسارى وأسرون وأسز

سأومونا على الحياة كما

شأؤوا وما للحياة سوق وسعز

وإذا ما صلاحهم قلم الحر

شعاعاً يلقيه في الأرض فكز

صرخوا صرخة الغراب على

الجيفة واستنسروا وكزوا وفزوا

ثم صاحوا بالشعب وهو دموغ

عَتَّقَتْ فِي كُؤُوسِهِمْ فَهِيَ خَمْرٌ

إِنَّ تَمَثَّالَكَ الْمَقْدَسَ يَا

شَعْبُ حَطَّامٍ بِكُلِّ أَرْضٍ يُجْرُ

قَتْلُوهُ فَخُذْ بِثَأْرِكَ يَا

شَعْبُ فَلَمِيَّتِ الْمَقْدَسِ ثَارُ

غَيْرَ أَنَّ الَّذِي يِنَادُونَ سَدَّتْ

أُذُنُهُ الرِّيحُ وَالصَّبَاحُ الْأَغْرُ

وَعَلَى ضَوْئِهِ تَرَأَى لَهُ

الْوَحْشُ وَقَدَّامَهُ الضَّحَايَا الْكَثْرُ

أَيُّهَا الشَّعْبُ أَيُّهَا المَيْثُ الْحَيُّ

بِأَرْضِ مِنْهَا الْقُبُورُ تَفْرُ

هَكَذَا تُصْنَعُ النِّعُوشُ لَكَ

تَرْقَدُ فِيهَا وَأَنْتَ يَا شَعْبُ زَهْرُ

خَالِدُ العَطْرِ مُثْقَلُ بِنْدَى الفَجْرِ

وَلَكِنْ لَا يَطْرُدُ الجُوعَ عَطْرُ

هَكَذَا قَدَّرُوكَ مَيْتاً عَلَى

الأَرْضِ وَأَيَّامَهُمْ لشمسِكَ قَبْرُ

يَمْضَغُونَ السَّنِينَ مِنْ عَمْرِكَ

النضِرِ ويلقونها وما لك عمرُ

أنظِرِ الصيْنَ كَيْفَ ثارتِ على

الموتِ وفي الصيْنَ للملايينِ نصرُ

كَيْفَ هدَّتْ جدرانَ معبدها

الرحبِ وفيه الأصنامُ بيضُ وصفزُ

صرخاتُ العبيدِ في أذنيها

جمعتُ فالعبيدُ بعثُ ونشرُ

ورياحُ تسوقُها مثلما ساقُ

الدهورَ البطيءَ في الأرضِ دهزُ

ضربتُ موعداً له أممُ

الأرضِ فطارثُ به الجيادُ الحُمْرُ

دقتِ الساعَةُ الرهيبةُ وانشقُ

عن الماردِ المخدَّرِ سترُ

أسندتُهُ إلى الجدارِ الأعاصيرُ

كسكرانٍ نالَ منه الشُكرُ

وشظايا الكؤوسِ غائصةٌ فيه

كما غاص في حشا الأرضِ جذرُ

نسماتُ الصباحِ يا حلْمَ التائه

يمشي والقفز شوكة وجمز

بلي وجهه وشدي خطاه

فطريق الكفاح صعب ووعز

ملأته الأشواك والدم

والدمع ولكنه الممر الممر

أيها الشرق كان ظلك في

الأرض سحاباً يمر ما فيه قظر

تشرّب البوم من جداولك

الخضر وثرى وليس ترويك بئر

أورثوك القيود عن صنم

مات فأشقاك في حياتك قبر

هم لصوض التاريخ كم سرقوا

منه شعوباً مصّوا دماها وفرّوا

وهم المائلون أرض أمانيك

ظلاماً يضل فيه الفجر

غير أن الحياة أقوى من

الموت ولن يهزم الحياة القبر

هي كالبحر مدها الأمل

الهادِرُ طوَلُ السنينِ واليأشِ جزرُ

يكشِفُ الصخرَ حينَ يرجعُ

بالموجِ ولكنْ يُنجي الغريقَ الصخرُ

صليل الحبال

أخي من خلال حبالِ السياطِ ومن حلقاتِ القيودِ
الثقالِ

تطلّع إلى وطنِ الكادحينِ وقد شنقوه بسودِ الحبالِ
ولقوه بالخرقِ البالياتِ وألقوه في ظلماتِ الحُفْزِ
وهالوا عليه الترابَ الكثيفَ كأن لم يكن في ربيعِ
العُمُرِ

أخي من خلالِ الجدارِ الكئيبِ ومن فجواتِ الدُّجى
والحطامِ

تطلّع إلى الأعينِ الغائراتِ وقد علقَتْ بسقوفِ
الخيامِ

هنا يمضغُ الجائعونَ الترابَ هنا يعصرُ الظالمونَ
الحجرَ

هنا تكتسي بالظلامِ العراةُ أخي من هنا سوفَ
يمشي الشرزُ

أخي من هنا سوفَ تجري السيولُ

فتجرِفُ أغلالنا والوحولُ

ويثأر من قاتليه القتيل
فنقرع أجراسنا والطبول

ولن نخزث الأرض للمزتوين
من الدّم، يجري على كل طين
ولكن لأطفالنا الجائعين
وقد ملأوا بالتراب البطون

ولن نستقي قطرات المطر
ولن نكتفي بجذور الشجر
ولكن بكل شهّي الثمر
سقيناه حتى ارتوى وازدهر

المهاجرون

أخي في الكفاحِ أخي في العذاب

أُتسمِعُ مثلي عواءَ الذئاب

تُفرِّعُ أطفالنا النائمينَ

وتُنذِرُ أحلامَهُم بالخرابِ

ويُفتَحُ أَعْيُنَهُم في الظلامِ

دويُّ الرصاصِ ولمعِ الحرابِ

وتخنُقُ صرخاتَهُم كالنجومِ

إذا حَنَقَتْها حبالُ السحابِ

ولكنَّهُ سوفَ يأتي الصباخِ

ويكسرُ أبوابَ هذا الضبابِ

يضيءُ لنا أرضَ آبائنا

وأرضَ طفولتِنا والشبابِ

فتورقُ آمالنا كالغصونِ

وكانت جذوراً ببطنِ الترابِ

فقممِ واذعِ مثلي ليومِ الخلاصِ

وميلادِ تلكَ الأمانِ العذابِ

وإن قيِّدوكِ وإن عذبوكِ

وإن هَدُّوكَ بشرَ العقابِ

فلا تستكنُ يا ابنَ هذا الترابِ

أمامَ وحوشِ الحياةِ الغضابِ

بل اغرس قيودَكَ في صدرها

كما غَرَسَتْ فيكَ ظُفراً وناَبِ

وإنَّ وراءَكَ شعباً يصيحُ

وإنَّ أمامَكَ فجراً مُذابِ

أخي يا ابنَ هذا الترابِ الحزينِ

أُتسمِعُ مثلي أنينَ الترابِ

وقد ملأتهُ جيوشُ العُراةِ

أسارى الرغيفِ سكارى العذابِ

يشدُّهمُ الغاصبُ المستبدُّ

كما شدَّت العنكبوتُ الدُّبابِ

يخدِّرهمُ بفتاتِ الرغيفِ

ويُسكِرهمُ ببقايا الشرابِ

ويُسكِنهمُ هاوياتِ الخيامِ

ويُلبسهمُ بالياتِ الثيابِ

ظريقتهمُ ملأتهُ القبورُ

ورثت بها ضحكات الغراب

ولكن خلف دُجاها الكئيب

تطل نوافذهم والقباب

وهم يرفعون إليها العيون

ولا يملكون إليها الذهب

وهم والليالي تُنسي الغريب

وتلقي على الذكريات الحجاب

مضوا يحفرون بدمع العيون

ودمع القلوب طريق الإياب



حطام القيود

أنا المقيّد لكّني سأنطلق

وأترك السجن خلفي وهو يحترق

وأخلع الكفن الدامي وقد رشحت

خيوطه بدمائي وهي تثبتق

وأهدم الصنم المجنون صارخة

خريتي في يديه وهي تختنق...

هي الحياة تُناديني وملء دمي

أحس أمواجها الحمراء تندفق

ولن يعيق خطاي الشوك مرتفعاً

ولن يخذرنني من وزده العبق

هي الحياة ولا تبقى على أثر

لكل من سار بالأكفان يستبق

كذلك البحر لا تبقى به رمم

ولا تحركه أنفاس من غرقوا

الحي حي به، والميت تقذفه

أمواجه فهي للأحياء تصطفق

فانشد نشيدك للشعب الذي سرقوا

دماءه وهي في أعراقه مرق

وخلّفوه وفأس العمر في يده

جرداء يرشخ منها الدمع والعرق

أنا المقيّد لكن سوف أنحت من

أغلاي السود فأساً ليس تنكسر



وأهدم الحائظ العالي الذي عُلقث

فيه التوافذ لا شمس ولا قمر

وأجمع الريح في كفي وأطلقها

على الذين بهذا الشعب قد كفروا

وجمعوه على أبواب مقبرة

تكاد من هولها الأموات تنتحز

وقيل هذا هو الروض الذي حلمت

به عيونك فيه الظل والثمر

لكنه الفجر ذو الأنوار أدركهم

وهم قوافل بالظلماء تستتر

فأبصروا القبر والحفار متكى

عليه للميت الموعود ينتظر

إرادة النور أن يذوي الظلام ولا

يبقى على الأرض من آثاره أثر

إرادة الفأس أن تهوي السجون ولا

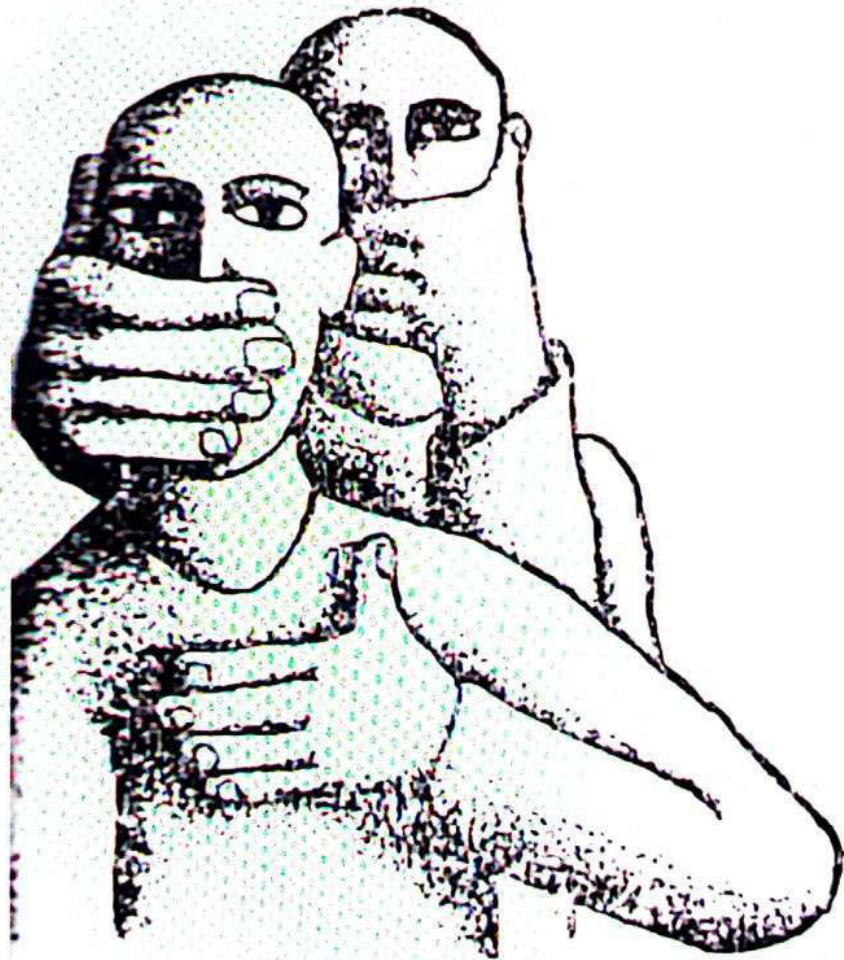
يبقى على الأرض من أحجارها حجز

فاشحذ فؤوسك يا ابن الشعب مقتلعا

هذي القبور التي للشعب قد حفروا

وأنت لا بدّ يا ابنَ النورِ تنتصرُ

وأنت لا بدّ يا ابنَ الشعبِ تنتصرُ



تاريخ

فَمَكَ الْمَكْبَلُ بِالْحَدِيدِ

وَفِي الْمَكْبَلِ بِالنَّشِيدِ

صَوْتَانِ لِلْحَرِيَّةِ الْحَمْرَاءِ

فِي وَطَنِ الْعَبِيدِ

مَتَكَسِّرَانِ تَكَّسَّرَ

الْأَمْوَاجِ فَوْقَ الزُّورِقِ

مَتَعَاظِمًا بِحَطَائِمِهِ

وَكَأَنَّهُ لَمْ يَغْرَقِ

قَيْدَانِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ

يَتَطَّلَعَانِ إِلَى الْحَرِيقِ

كَالشَّاطِئِ الرَّاسِي يَحَاوِلُ

سَحْبَهُ نَفْسُ الْغَرِيقِ

مَتَهَافَتَانِ تَهَافَتَ

الظَّمَانِ فَوْقَ الْجَدُولِ

مُتَّحِصِنًا بِصَخُورِهِ

حَصْنَ الظَّلَامِ بِمَشْعَلِ

عَيْنَانِ فِي سَجْنِ الْخَرِيفِ

تتحرقان إلى الحفيف

كتحرق الحرّ المقيّد

للنسيم وللرصيف

منذورتان إلى الربيع

استيقظي وتحزري

يا هذه الأزهار من

غصن الدّجى المتحجّر

جرحان في خرق وطين

لا يعرفان من السنين

غير السّياط الراشحات

حبالها بدم السجين

كحمامتين طريحتين

على جدارٍ مُظلم

تتنفّسان نساءم

القفص الملطّخ بالدم

شعبان في الوادي الخصيب

شُنقا بأمراس اللّهب

وتطوّحا كتطوّح النّسمات

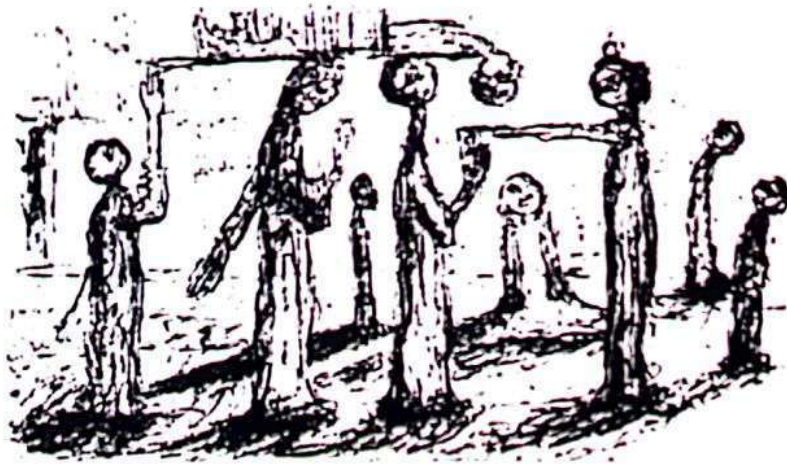
في القفر الجديد

كشعاعتين رضيعتين

على ذراعي كوكب

نزل السحاب عليها

بالخنجر المتوثب



جنازة الجراد

إغسلوه بما جرى من دماءه

فتراب العطاش أولى بمائه

وارجموا نعشه كما تُرجم

البومة بالباقيات من أشلائه

وامنعوا الشمس أن تُضيء على

الخائن حتى في مهرجان فنائه

وإذا سارت الجنازة والتجم

مُشيخ عن ركبها بضيائه

فاطردوا حافر القبور عن

الأرض التي لُطخت بوحل دماءه

واحرقوا الجيفة الخبيثة وامشوا

وأطلّوا بها على أبنائه

ولتكن كومة الرماد إلى

الذئب فراشاً وللغراب التائه

أيها الهالك الممدد في

الكهف يلوك الطريح من أنفاسه

أنسيّت الجلاد لقا تزل ترعش

عُنُقُ المَشْنُوقِ فِي أَمْرَائِهِ؟

أَنْسَيْتِ الْجَلَادَ لَمَّا تَزَلُّ تَسْمَعُ

صَوْتِ الْفَنَاءِ مِنْ أَجْرَائِهِ؟

وَالْوَحُولِ الَّتِي شَرِبْتَ أَلَا تَذَكُرُ

يَا مَنْ نَقَشْتَ جِدْرَانَ كَاسِهِ

أَنْتَ مَيِّتٌ إِنْ لَمْ تَتَّزُ ثُورَةَ

الرَّيْحِ وَتَهْوِي بِسَقْفِهِ وَأَسَاسِهِ

وَتُعَيِّدُ الْمَنْهُوبَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ

الَّتِي تَسْتَعْيِثُ مِنْ أَغْرَائِهِ

فَتَدْبُ الْجِياعُ تَحْرَثُ بِالْكَفِّ

تَرَاهَا الْمَحْرُومَ مِنْ أَعْرَائِهِ

حينما تُمِطُّ الأُحجار

ارفعوا الأيدي عن أرض القناة

سهير: - هي الأخت الوحيدة للشاعر معين بسيسو

يا سهيز

أنا في المنفى أغني للقطاز

وأغني للمحطة

أي هزة

حينما تومض في عيني غزه

حينما تلمع أصوات الرفاق

حينما تنمو كغابة

من بروق ورياح

حينما يلمع برق الكلمات

كلمات من حديد

تطرق الباب الحديد

اطرقي يا قاهرة

واطرقي يا غزتي

واطرقوا يا إخوتي

ولثضى كل شبابيك القطاز

بعيون كالنجوم

بعيون العائدين
لمتاريس الكفاخ
في بلادي وبلاد الآخريين
ولتكن كل الأيادي عائله

أي أيام عذاب
أن يكون الحلم دوري في الكفاخ
وأنا أكتب دوري في الكفاخ
وأنا أخشى الإطالة
في الرساله
وأنا أكتب من أجل القناه
وأنا أحذر من هميس القلم
وخطى السجان فوق الورقه
وبقلب القاهره
قصف رعد المطبعه
قصف رعد الكلمه
يا لمجد الكلمه
حينما تغدو عناقيد ضياء

في أيادي الشعراء

أيّ أيام عذاب

وهنا ظلّ سماءٍ من حديد

وظلامٌ في الظّهيرة

وسماءُ القاهرة

السماءُ الظافرة

بنجوم الدّم تزهو في النهار

نجمةٌ تومضُ من كلّ رصاصة

أطلقها من يد التلّ الكبير

يدُ فلاحٍ شهيد

لم تزل تنبضُ في التلّ الكبير

نجمةٌ من عرقِ الفلاحِ حفارِ القناة

دمه الأبيض والنازفُ من نبعِ الجبين

دمه الأبيض والنازفُ أمواة القناة

نجمةٌ من كلّ فلاحٍ وعامل

في العراق

رغم «نوري» والوثاق

نجمه من كل تائز

في الجزائر

نجمه من كل أبناء السلام

فوق أسوار بكين

نجمه من كل شعيل على أرض لينين

نجمه من قلب عمال المحطات البعيده

فردوا الرايات مثل الأجنحة

لن تمر الأسلحة

نجمه من قلب بكداش الصديق

نجمه من قلب عمان المجاهد

أبو خالد

نجمه من كل جرح لم يضمّد

في بلادي لمشرّد

نجمه من ثغرك الزاهي النضير

يا شهيز

يا شهيز

وخطى المستعمرين

تفرغ الأرض ضجيجاً وحنون

تتهذذ

تتوعذ

بأساطيل ورق

عائمات

في وحول القرصنة

الأساطيل التي سارت بريح القبلة

وبريح السلب والتهب وإعصار السموم

وإلى السور العظيم

تضرب الشعب العظيم

وبأفيون حشته في القنابل

تفرض الوحل على الشعب العظيم

الأساطيل التي حطت على الهند الرحال

وكأعاصير جراد

تنهش الأرض وتمتص الحياة

الأساطيل التي بيضت السهل الكبير

بعظام الكادحين الأشقياء.

الأساطيل التي جرّت شعوباً في المياه

خلفها وهي تسيز

نحو أسواق الرقيق

وهُم أجداد «روبسون»

وهُم من يرعشون

مثل أغصان الشجر

وهُم من يبصرون

خلف ضلبان اللهب

نجمة سبارتاكوس المشتعلة

الأساطيل وما زالت شظايا القنبلة

بدماء الشهداء الأبرياء

وهجاً يلمع في موج ورمل اسكندريه

وعلى أمواج بيروت الضحية

وهجاً يصرخ لن تلقى الأيدي الهمجية

بمراسيها على أرض القناة

فارفعوا الأيدي عن أرض القناة

فبحار العالم المصطخبة

لم تعد أمواجها للقرصنة

والأيدي العفنة

ليس هذا عصر توفيق الجبان

لا ولا عصر ديغول

مونتغمري والفلول

ليس هذا عصر نوري مندريش

عصر صيادي الرؤوش

عصر سقّاحي الشعوب القتله

عصر خراس كُتوز القرصنه

ليس ذا عصر دالاس

الأب الوارث من صدر الوحوش

ما تبقي من نفس

إنه عصر جديد

عصر إنسان جديد

ولدتُه فوق أطلال «ديان بيان فو»

الخضاب

ابسامات «جياب»

عصر «باندونغ» وأعراس الأمل

عصر خبز وعسل

عصر أطفال الجزائر

عصر أطفال أم صابز

عصْرُ رَايَاتِ عَرَابِي الْعَائِدَةِ

فَوْقَ أَكْتِافِ حَمَامَةٍ

عَصْرُ غَابَاتِ الْمَلَايِوِ اللَّامِعَةِ

وَبَوْمَضَاتِ الرِّصَاضِ

وَبَأَنْوَارِ الْخِلَاضِ

إِنَّهُ عَصْرُكَ مَفْتُوحِ الذَّرَاعِيْنَ يَسِيرُ

وَيُنَادِي يَا شَهِيْرُ

أَنْتَ لَنْ تَلْعَبَ أَيَّامُكَ فِي ظِلِّ الْمَدَافِعِ

أَنْتَ لَنْ تَطْغَى عَلَى شِدْوِكَ رِثَاتِ السَّلَاسِلِ

وَانفِجَارَاتِ الْقَنَابِلِ

فَسْتَنْمِيْنَ تَحْبِيْنَ وَتَغْدِيْنَ عُرُوشِ

وَسْتَنْمُو زَهْرَةَ الْحَبِّ وَتَكْبِرُ

عَمْرُهَا تِسْعَةَ أَشْهُزِ

وَسْتَهْدِيْنَ إِلَى الْعَالِمِ طِفْلَهُ

أَيَّ طِفْلَهُ

هِيَ لَنْ تَدْرَجَ فِي ظُلْمَةِ خِيَمَةِ

لَا وَلَنْ يَجْرَحَهَا سِلْكُ مَعْسَكِزِ

فستنمو وعلى درب ربيع ومسيز

وفلسطين ربيع ومصيز

رسفته بالجناحين حمامه

حلّم تحرشه كل الأيدي عائلة

إنه عَصْرُكَ مفتوح الذراعين يسيز

وينادي يا سهيز

إنه عصر يسيز

وأنا أيضاً أسيز

ومع العصر الكبيز

رغم عَجْزي وأنا أبنِي المصيز

وأنادي يا سهيز

وتنادين أخي

وبصوت كحفيف الأجنحة

وذراعي أخي مفتوحتان

منذ عام وشهور

وهما تنتظران

وهما تشتعلان

كلما صَفَّرَ في الليل قطار

كَلَّمَا صَاحَ مُشَرِّدٌ

وَهُوَ يُلْقِي وَعَلَى مَنْزِلِنَا الْمَطْفَأَ نَظْرَهُ

أَيَّ ثَغْرَهُ

فِي مَتَارِيْسِ الْكِفَاحِ

وَكَفَى دَقًّا بِكَعْبِ الْبِنْدَقِيهِ

لشَبَابِيكِ بِيوتِ الْأَصْدِقَاءِ

وَأَنَا مِثْلِكَ أَغْلِي كَلَّمَا مَرَّ قِطَارُ

وَأَنَا أَلْعَنُ عَجْزِي كَلَّمَا طَارَ خَبْزُ

عَنْ أَيَادِي صَادِقَاتِ كَالشَّرَاشِزِ

لَمْ تُصَافِحْ مِنْذُ أَيَّارِ الشَّرَاشِزِ

طَارَدَوْهَا لِثَهَاجِزِ

وَلَكِي تَعْرِقُ فِي أَرْضِ غَرِيبِهِ

وَلَهَا أَرْضُ خَصِيْبِهِ

وَرَحِيْبِهِ

وَأَنَا أَلْعَنُ عَجْزِي

كَلَّمَا طَارَ خَبْزُ

عَنْ يَدِ خَلْفِ الْحُدُودِ

أَثَقَلَتْ صَدْرَ الْمَدِينَةِ

بدخان المخرقة

عن يد خلف الحدود

لم تزل تنهش في كنز عرق

لم تزل تنهش في كنز دماء

لرجال ونساء

في معسكر

ضربت قبضة أيار المعسكر

وأنا ألعن عجزي كلما هبّ ضياء

عن رجال شرفاء

وعلى أبواب عزه

ويد خلف الحدود

ورنين القيد في كل رصاصه

أثقلت أصداؤه أرض العراق

وهي لن تثقل أمواه القناه

أهنا معركتي خلف اللهب

أهنا أقتات خبزاً وغضب

ودروب المعركة

رحبة تحضن كل الخطوات

رحبة ليست تضيق

بصديق أو رفيق

بأيادينا التي تبني الصداقه

وعلى أنقاض أسلاك غريبه

بين شعبين على أرض خضيبه

وعدو يرتعش

وهو في رعشته يطلق أنفاساً أخيره

لرصاصات أخيره

لم يغذ يملك زاداً أو ذخيره

لم يغذ يملك من أمر الحياه

غير أشلاء مياه

وهو يرميها على أرض القناه

وعلى كل مكان

قد غدا أرض القناه

وبلادي قد غدت أرض القناه

أوتدريين عذابي يا شهيز

وأنا أنهض في كل صباح

ويدي أي يد جرداء من غير سلاح
وهي لن تخضر إلا بالكفاح
وهي لن تخضر إلا فوق أرض المعركة
حينما تضرب جذراً من دماء
في تراب المعركة
أوتدريين عذابي يا شهيد
وأنا أنهض في كل صباح
وبعيني شذى حلم الكفاح
أنا أمشي في دروب القاهرة
تحت أقواس ربيع الكبرياء
بين أغراس الدماء
أحضن الأيدي التي تبني الضياء
أحضن الأيدي التي تحرس أمواه القناه
إنني أملأ عيني بأمواه القناه
بالظلال الراعشات الساطعات
ولحقاري القناه
وهو يستقبلون
وهو يحتضنون

كَلِّ بِحَارِ عَلَى ظَهْرِ سَفِينِهِ

لَمْ يُخْنِ مَجْدَ الْعَرَقِ

وَهُوَ وَضَاءٌ عَلَى صَدْرِ الْقَنَاةِ

صَوْتُهُ يَلْمَعُ كَالْبَرْقِ بِإِصْرَارِ الْحَيَاةِ

إِرْفَعُوا الْأَيْدِيَ عَنِ أَرْضِ الْقَنَاةِ

السجن الكبير

سيظلُّ يحرسهُ العراقُ

سيظلُّ يخفقُ في العراقِ

في ظلِّ أقواسِ المشانقِ والرصاصِ

قلْبُ المقاومةِ العنيدةِ، والخلاصِ

جنباً إلى جنبٍ يدقُّ معَ القلوبِ

في جبهةِ السِّلْمِ العَريضةِ والشعوبِ

أترى إلى شَعْبِ العراقِ

يَعدو بأشلاءِ الوثاقِ؟

وعلى جَوايدٍ من لَهَبِ

في أرضِ معركةِ الشعوبِ

أترى سنايكةَ الخَضِيبِ

بداً مخالِبِكِ الرهيبِ

هُوَ ليسَ حُلماً ما ترى

أَمْ أنتَ أعمى لا ترى

إلا كراتشي أنقرة؟

إلا كلابَ المقبرةِ

والأرجلَ المتكسرةِ

أترى إلى فهد الشهيد

قذ عاد يا نوري السعيد

قذ عاد يركب مشنقه

أولم يعدك بمشقه

من صنع أيدي الكادحين

وجميع صرعى حكمك الدّموي عادوا يركبون

ظَهَرَ المشانِقِ والبنادقِ والسلاسلِ والشجونِ

أحسبتهم قتلوا كما دبّرت ذلك في الخفاء؟

لكنهم عادوا ودلّ عليهم زهر الدماء

يهدونهُ الشعبَ الذي وقفت قواه بلا ركوع

وبلا فرارٍ أو رجوع

في وجه ما أسميته حلف الدفاع

وهو الخيانة والضياع

وهو المُرورُ بلا انقطاع

من تحت أقواسِ السجونِ

ولكي يظلّ النفط يدفقُ في فم المستعمرين

ولكي تظلّ وبالسياطِ تهزُّ للمستثمّرين

أثمارَ أيدي الكادحينَ وإنَّ أيديهم غصونُ

أنا لا أقول بأنَّ إمضاء الرصاص على الصدور

أنا لا أقول بأنَّ إمضاء السياط على الظهر

هُوَ لَيْسَ إمضاء الذين وراءَ ظهرك يا أجيذ

ولكي يمزَّ الحلفُ مختالاً على ظهر القبور

لكنه كذبٌ وتزويرٌ إذا قلتَ العراق

أو أنَّ فلاحِي وعمالَ العراق

أو أرضهمُ وسماءهمُ ذات التَّجُومِ من الدماء

قد طَوَّقُوا أو طَوَّقَتْ أو طائهمُ بالسَّلسِلِة

وغدوا عبيدَ القنبلِة

بل إنَّ صَدْرَكَ وحدَهُ هُوَ موطنُ الحلفِ الطريدِ

وهو القواعِدُ والخنادقُ والمعسكرُ للجنودِ

فيا عدوَّ المطبَعِة

وعَدُوَّ أشواقِ الورقِ

وإلى حروفِ المطبَعِة

إن كنتَ صادرتَ الورقِ

فَلَسَوْفَ نطبِغُ بالعرقِ

فوق الأيادي والجباهِ

منشورَ حبِّ للحياةِ

فأنشُرْ لُصُوكَ فِي الْبِلَادِ

وَهُوَ الْمَخَالِبُ فِي الْبِلَادِ

لِيَصَادِرُوا

كُلَّ الْأَيْدِي وَالْجِبَاهِ

لِئَصْفَ يَا نُورِي الْحِسَابِ

أَوْ قَبْلَ تَصْفِيَةِ الْحِسَابِ

فَلِيَسْمَعْ الْمُتَأَمَّرُونَ بِلَا التَّوَأءِ

هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الدَّمَاءِ

لَوْ يَجْرُؤُونَ وَيَدْخُلُونَ

فَسِيرْكُضُ الدَّمِ فِي الدَّرُوبِ

مُعَلَّقًا نِيرَانَهُ

فَلِيَقْرَأُوا نِيرَانَهُ

فَسَتَسْتَحِيلُ إِلَى سِيُوفِ، كُلُّ أَغْصَانِ السَّلَامِ

وَلطَائِرَاتِ قَاصِفَاتِ كُلِّ أُسْرَابِ الْحَمَامِ

وَسَتَقْفَرُ الْقَضْبَانُ غَضْبَى مِنْ زَنَازِينِ السَّجُونِ

وَسَتَسْتَحِيلُ إِلَى سِوَاعِدَ تَضْرِبُ الْمُتَسَلِّلِينَ

وَمَنْ الْجِرَاحِ النَّابِضَاتِ الْفَاغِرَةِ

أَفْوَاهَهَا لِقَوَاكُمُ الْمُتَأَمَّرَةِ

سنقيم متراساً ونحفز خندقاً للمعركة
ونمدُّ أسلاكاً من الدمِ شاهقاتٍ شائكة
وفمُ الدمِ الغالي يسيلُ وقد تعانقتِ الخنادقُ
لن تحلبوا إلا أيادي من حديدٍ من حرائق
إني ألوحُ بالقيودِ إليك يا نوري السعيد
أنا في عذابٍ لن تمرَّ به فتذرك ما أريد
أنا في عذابٍ واشتعالٍ في صعودٍ في امتداد
هو ليس من تشريدِ عائلتي وفي شتى البلاد
هو ليس من شوقي وليس من الحنينِ إلى الرفاق
لكن لائي لستُ في أرضِ العراقِ معَ العراقِ
أو في الشوارعِ أينما كانَ انفجارٌ وانطلاق
أبدأتُ تعرفُ ما المصيرُ وما الجريمةُ والعقابُ؟
أبدأتُ تلمحُ ذلكَ الشرَّ المهْدَدَ في الضبابِ؟
وإلى ضحايا الحلفِ سوطِ الاضطهادِ والاعتصابِ
تمتدُّ أيديهم دماً ولظىً ومن تحتِ الترابِ
أبدأتُ تُحصي إرثَ ما سَجَنَتْ وما اغتالَتْ يداك؟
إرثُ المشانقِ والمذابحِ والمنافي والهلاكِ
ولكي يقسمَ بينَ أعداءِ الشعوبِ قذئٌ وعازٍ.

أبدأت تحزّم في الحقائقِ أينَ أزمعتُ الفراز
ويذُ الجماهيرِ العريضةِ في الطريقِ وكالجداز
أينَ المفزُّ فلا طريقٌ إلى القطارِ أو المطاز

الصوت لا يزال

علاء الدين: - هو الشقيق الأصغر للشاعر معين
بسيسو

مدينتي، أقرأظها الزنابق البيضاء

وغقدھا حبائھ براعم الأنداء

يحبها علاء

أخي الذي يجوع والربيع في مدينتي ذراع

وبرتقاله على الشجر

أخي الذي يرش الرصاص والمطر

إليك من دمائه اللألاء السلام

ومن مدينتي السلام

مدينتي الشاهرة السلاح والجراح

متراشها الأمواج والنيران والرياح

وخلفه تلالأث خوذتها الحمراء

سحابة حمراء

من اللهب والدماء

ومن قيودي التي تهزني إلى النضال

إلى الخنادق البعيدة المنال

إلى البنادق الرفرافةِ الظلال
وفوّهايتها العيونُ لا تنامُ
سهرانَةٌ على السلامِ
ومن يدي التي تحنُّ للزنادِ
وضغطةٍ على الزنادِ
وصرخةِ الرصاصِ الثاقبةِ الهواءِ
هواؤكِ المقاتلِ الغزاهِ
الهابطينَ بالأكفانِ
من مقابرِ الفضاءِ
مُصلِّبينَ كالدمى على الهواءِ
وصرخةِ القنبلةِ الثاقبةِ الأمواجِ
فتنهضُ الأمواجِ
أعماقها المسنونةِ المياهِ
تحفرُ القبورَ في المياهِ
ووقفةٍ في أرضكِ المنبتةِ العنادِ
والحقدُ في النوافذِ المكسورةِ الزجاجِ
قناعةِ اللّهبِ والدخانِ
فوهةٍ لبندقيةٍ بلا إصبعٍ على الزنادِ

ثقاتل الغزاه

ويحرس الحياه

رصاصها المقاتل الغزاه

وتطلق المدافع الحارسه الفضاء

حمامه من اللهيب والدخان

في الفضاء تحرس الفضاء

والصوت ما يزال

صوت المقاتل العنيد لا يزال

صوت المدينة العنيدة النضال

يرن في الأنقاض والدخان

يرن في جدارنا هنا فنلعن الجدار

هنا ترفرف الشجاعة المكسورة الجناح

هنا يد بلا سلاح

هنا دم بلا جراخ

وبيتنا وبين نارك الصديقة اللهيب

يا بور سعيد هذه الأسواز

لكنها لم تثينا الأسواز

تطلعي تري ظلالنا تهب كالرياح

إلى خنادق الكفاح
تسلقت ظلالنا القضبان والأسواز
ظلالنا الشاهرة السلاح
ظلالنا تقاتل الغزاه
وذكرياتنا تقاتل الغزاه
والصوت لا يزال
صوت المقاتل العنيد لا يزال
يهب في المدينة العنيدة النضال
فتزهو الرجال في الأنقاض والدروب
وتومض الأنفاس في الصدوز
وينبض السلاح من جديد
في يد المقاتل الشهيد
وتشهو النيران في النوافذ المكسورة الزجاج
قبضاتها لثهب الغزاه
وتعصف الرياح كالمدى
تسمز الغزاه
على مسالك الدروب
وفي مدينتي التي تهزها

عواصف الكفاخ

تهزها من الجذوز

مدينتي التي نهازها رصاص

وليلها رصاص

وأرضها التي تعض في خطى الغزاه

الصوت لا يزال

صوت المقاتل العنيد لا يزال

يرن في المعسكرات والتلال

وفي خطى النساء والأطفال والرجال

إلى الأمام، والسلام يا ابتسامة الكفاخ

إلى الأمام والسلام يا يداً بلا سلاح

إلى الأمام، والسلام يا رصاصة تطيش

من رغشة الحقد على الوحوش

إلى الأمام، والسلام يا رصاصة تُصيب

سلامنا لخندق يشمخ بالمتراش

سلامنا لخندق عارٍ بلا متراش

سلامنا إليك يا فراشة،

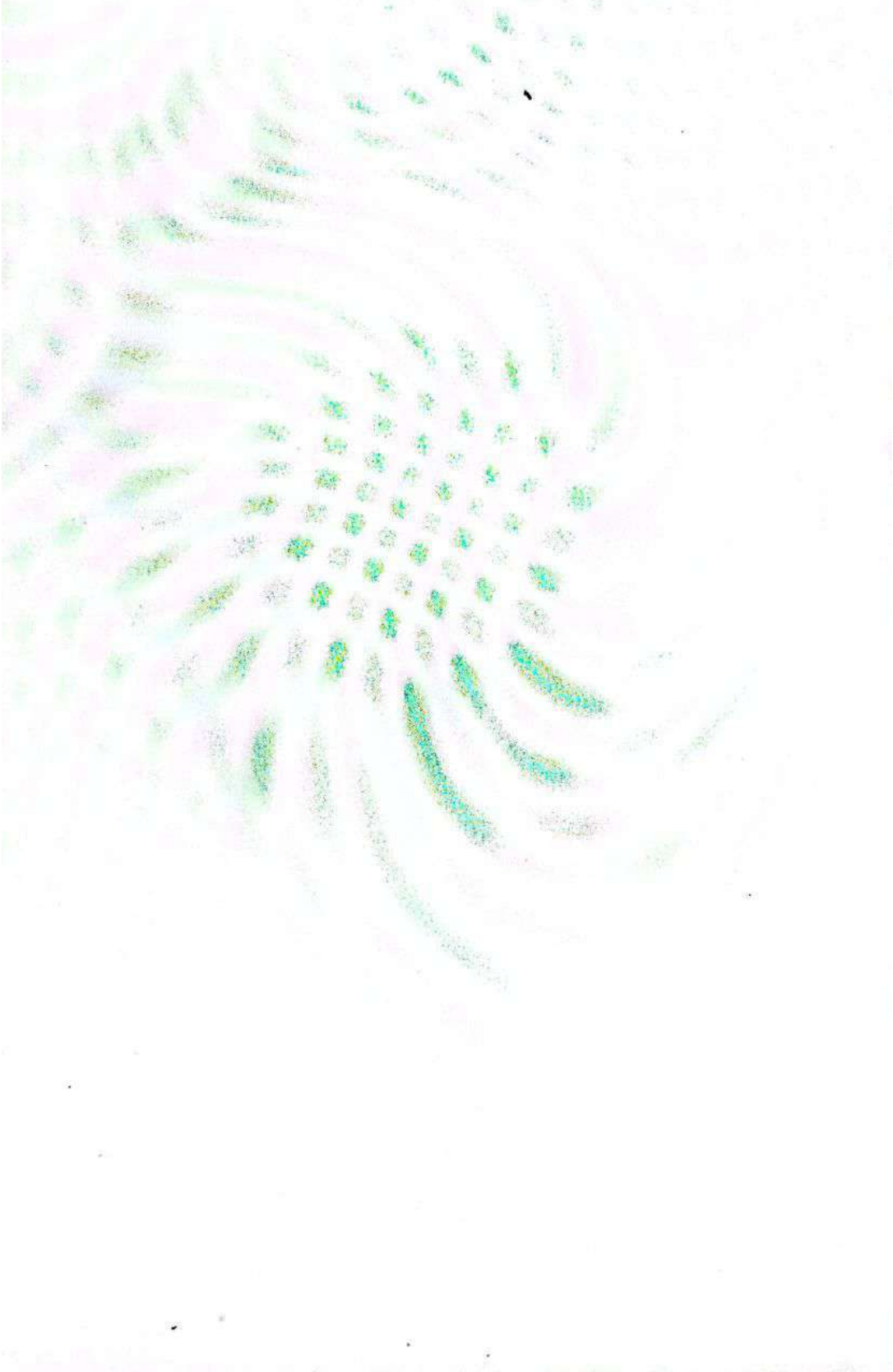
قد رفرفت على غزال

وَمَنْ حَمَوَا إِشْرَاقَةَ النِّضَالِ

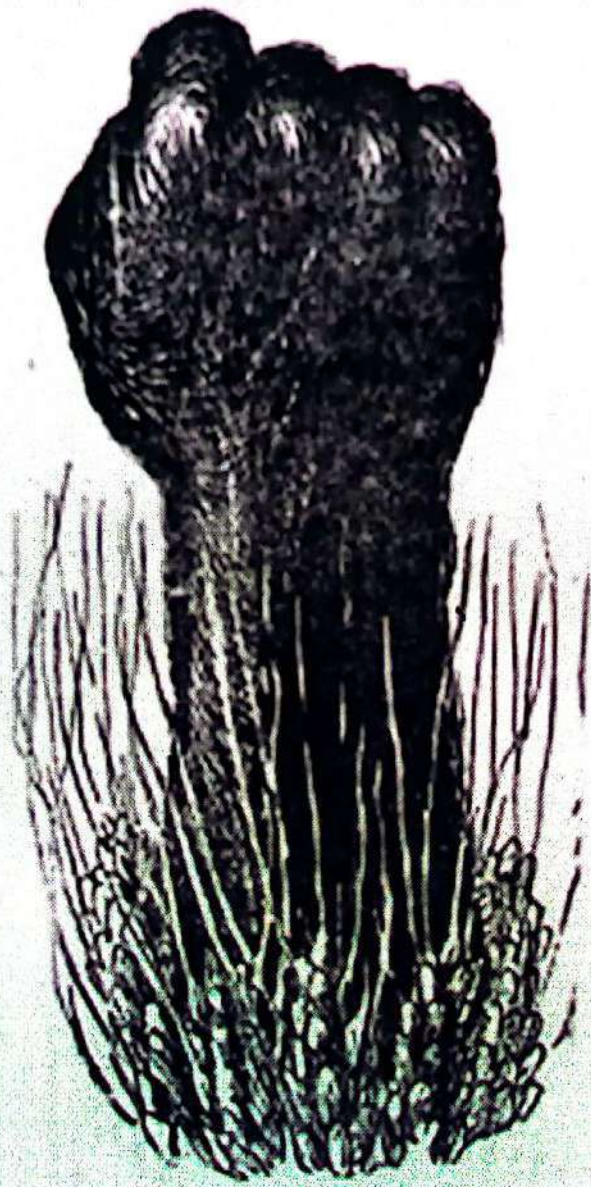
وَمَنْ حَمَوَا جَمَالَ

وَأَقْبَلُوا عَلَيْكَ بِابْتِسَامَةِ السَّلَامِ وَالسَّلَاحِ

وَبِابْتِسَامَةِ الْكِفَاحِ



مَارِدٌ مِّنَ السَّنَابِلِ



المتاريس

قد أقبلوا فلا مُساومة

المجدُّ للمقاومة

لراية الإصرارِ شاهقة

للموجةِ الحمراءٍ من صيحاتنا المعلقة

على الشوارعِ الممزقة

ولليدِ المكبلة

ولليدِ الطليقةِ المناضلة

المجدُّ للجريحِ والمثقوبِ قلبُهُ وللمطارِدِ

مدينتي! قد أقبلوا ليلاً من الأظفارِ والخناجزِ

وكنتِ نجمةً تقاتلُ

أضواؤها العريانةُ السلاسلُ

وكانتِ الذئبُ تقتفي خطى الجداولِ

وكنتِ مارداً من السنابلِ

يداهُ منجلانِ والجرادُ زاحفٌ قوافلُ

يريدُ أن يجزَّ للطاحونِ مارداً السنابلِ

ويا ابتسامة الزلازل

مطبوعة سيفاً على جبين شعبي المكافح

مدينتي زنبقة خضراء لم تنم على سرير فاتح

ولم تصب الزيت في مصباح خائن

رموشه بساط كل مقبل ورائح

من صانعي المذابح

ولم تهب ضفيرة أسلاك معتقل

ولم تقبل سوط طاغية

كجارية

مدينتي! رأيت كيف تنسخ الأمل

خطى حبيبك البطل

وكيف قد نشرت من دمائك الشراع

يمخر الحرائق

النار لا تمسه ولا الصواعق

ولا الرصاص طائراً حصي من البنادق

مدينتي! واحسرة القيثارة الخرساء

للغناء والبلابل

تشدو إلى الأبطال، واعذاب شاعر

في السلاسل

وأنت في السلاسل

ولم تكن تناضل

غير الحروف من شريانه جرت قصائد

مدينتي! وأي رعية تهزني وأي عاصف!!

من ذكرياتك العواصف

من ذكريات السجن والسجان والأبطال والمعارك!

وخائن تهالك

وفوق صرخة القتل

والمعدبين في انتظار

الموت ساز،

وحشاً يشد للرحى السوداء،

كي تدور تطحن الدماء

يداه حبلا كل خانق،

عيناه شبّاكان للعدو منها أطلّ بالبنادق

على الخيام والمنازل

يصيد إخوتي،

أبناء شعبي البواسل

الآن يرفع الستار يا مدينتي عن المجازر

عن وجه كل تائز

عن الرياح كيف أصبحت تحارب

راية العدو في فضاءنا مسنونة المخالب

وكيف قد هوث كحية

تعض في جراحها السواكب

عن اسمك المهيب يا جمال،

كيف ينسج الغرائب

والمعجزات والعجائب

وكيف كان شمسنا الخضراء في الدياتر

ووردة حمراء في ضفائر

أختي، وفي شباكها سرباً من البلابل

وكيف كان بور سعيد،

صخرة من اللهب، غابة من السواعد

يا فارس الفوارس
صفنا لك الجواد من صباحنا
وشعبنا أهداك ببرق البيارق
خُضنا به الرصاص
موجةً من الزنابق
والنار موجةً من النسائم
وكانت القيود في المعاصم
كعكبوتٍ في جنونِ جوعها،
رمت خيوطها على العواصف
وفتح الإصرار زهرةً،
صدّاحة البراعم
وعصّ في جراحه العدو، والمتراش شاهق
وبور سعيدٌ بندقيةً البنادق
وخذق الخنادق
شمس من الجراح قد تسمرت في الليل،
فوق جبهة المحارب
يا بور سعيد... الفجر طالغ،
هذا صياح الديك يوقظ الرصاص في البنادق

يا فارس الفوارس
صغنا لك الجواد من صباحنا
وشعبنا أهداك بيرق البيارق
خُضنا به الرصاص
موجة من الزنابق
والنار موجة من النسائم
وكانت القيود في المعاصم
كعنكبوت في جنون جوعها،
رمت خيوطها على العواصف
وفتح الإصرار زهرة،
صدّاحة البراعم
وعض في جراحه العدو، والمتراش شاهق
وبور سعيد بندقية البنادق
وخندق الخنادق
شمس من الجراح قد تسقرت في الليل،
فوق جبهة المحارب
يا بور سعيد... الفجر طالع،
هذا صياح الديك يوقظ الرصاص في البنادق

والرياح في الحرائق

وأوشك الصباح أن يمَسَّ رايةَ المحارب

يا بور سعيد ليس سيفُ روحك الوهاج،

وحده يقاتل

ولا مدينتي وحيدةً تقاتل

لك الشعوبُ رفَرت بنادق

وسرَّجت لك البحارَ والسحائب

وصرخةُ الأنصارِ حجَّرت

رصاصَ ذلك المغتالِ في البنادق،

وحجَّرت نيرانه فلم تعد قواطع

أنبيائها القواطع

وفي عيونِه تسمَّر الدخانُ كالحصي،

كالشوكِ كالأظافر

مدينتي تطلَّعت إلى الجرادِ وهو راحلٌ

فرفرت بها الشوارع

مدينتي تحبُّ،

آه يا سليمةَ الأصدافِ

يا زيتونة الأمواج

يا حورية الخنادق

يا وردة الورد في حديقة الحدائق

يا نجمة مجنحة

يا زهرة مسلحة

من قال إن الفارس الحبيب مات في الطريق

فجاء راكباً جواده

ولابساً دروعه صديق

كي - يا حبيبي - ترمي بخاتم الحبيب

في خوزة الغريب

ولست يا مدينتي غمداً لكل سيف

كرمة لكل قاطف

قيثارة لكل عازف

فلن تكوني غير شعبي قد توهجت

خطاه خلف قائد

مزغرد الجراح صامد

مدينتي! عروش شعبي التي تغار

من إكليلها العرائس

قد أقبلوا فيالِق

الحيّة الرقطاء والحمامة البيضاء

والغربان والعنادل...

وجاء أصدقاؤك الهنود بالمغازل

ومن على أكتافهم ترفرف المطارق الحمراء

والمناجل

وتضحك السنابل

من لم تبلّ خبزهم دماء تائز

وجاءك الذين حَبَّأوا القيود،

في الخوذات والبيارق

وفي معاطف من الزجاج،

ظَرَزَتْ بأعين الثعالب

الحالمين بالحرائق

بغاية من المشائِق

الطامعين أن تكوني حانة ومخدعاً وقنطرة

وأن تكوني يا مدينتي مؤامرة

وأن يكف القلب عن خفوقه إلى جمال

وأن تموت في الوحول راية النضال

إليك عن أجفاننا الخضراء،

يا أحلامَ زارعي الجرائم

وناصبي الخيامَ للمآثم.

وأقبلي وفي ظلامِ القحطِ

مِشعلاً من السنابل،

وزفرفي على رمالنا جداولُ

تقدّمي إلى الأمامِ بالغبارِ بالدماءِ

بالبيارقِ المعبّرة

بالخوذةِ المعقّرة

بالبندقيةِ المزمجرة

بأغنياتِ النصرِ كالبراعمِ المنوّرة...
تقدّمي بكلّ ما قدّ ألبستكِ أمكِ الحريةَ المظفّرة

في بور سعيد في المدينةِ الملوّحة

بزهرةِ انتصارنا على المدى مفتّحة...
تقدّمي يا - مصرنا - المجنّحة

حمامةً مسلّحة...
تقدّمي؛ ففي الطريقِ مارداً

تقدّمي؛ ففي الطريقِ مارداً

تقدّمي؛ ففي الطريقِ مارداً

قد أطلقته من أحشائها العواصف

ومن يُقل عثارَ مارذ

كَبَث به الجراحُ غيرُ مارذ...

فليحتشد فلاحنا الهمامُ بالمحراثِ والشراشز

وليأتِ كلَّ غائب

ليأتِ عاملُ النسيجِ والمشردُّ الطريد

والجائعُ المسافرُ الذي غدا خبزُ الطريقِ

ليأتِ صيادوكِ يا أمواجنا المهجورةَ الهوادز

ليقطفوا ثماركِ النواضز

الآنَ في سمائنا أسرابُ أنجمِ الشعوب

تزرعُ السلاحَ والسَّنابل

فلنرمِ أخوتي البواسل

شباكنا على السلاسل

يا أخوتي وطائرُ الحصاد

لا يبرخُ الأسلاكُ والحدود

رغمَ غزوةِ الجرادِ والرماد

وأنه من غيرِ زاد

ورغم ألف ليلةٍ وليلةٍ من السهاد
في الصباح حينما جرت، جداول الصباح
أبصرته موزد الجناخ
في غنفوان سكرة الأحلام
... إن مارداً من ضلب بور سعيد
من ضلب بندقية سورية على الحدود
يحملة في هودج من السنابل
وأن ألف ألف ماردي
يشيدون حوله وهم يُغرّدون
قصراً من السنابل
وأن منها مارداً قد طار ثم عاد
من معسكر الجياغ
من الخيام
الراعات في مشانق الظلام
قد طار ثم عاد
على الجناخ
هودج الفلاخ
لعرشك المجيد يا أخي المجيد

يا سلطان...

ففي الركابِ ألف ألف شمعدان

وألف ألف صولجان

هذا الذي رآه طائرُ الأمل

أوحى له بأن يطيرَ في الصباح

لخيمةِ الفلاح

وأن يقولَ ما رأى...

يا إخوتي فلنفرِّدُ الخطى

على الطريقِ أشرعه

ولنمخرِ الحدودَ

الدربُ لا تقلُ طويلُ

وزادنا قليلُ

قنديلنا بلا فتيلُ

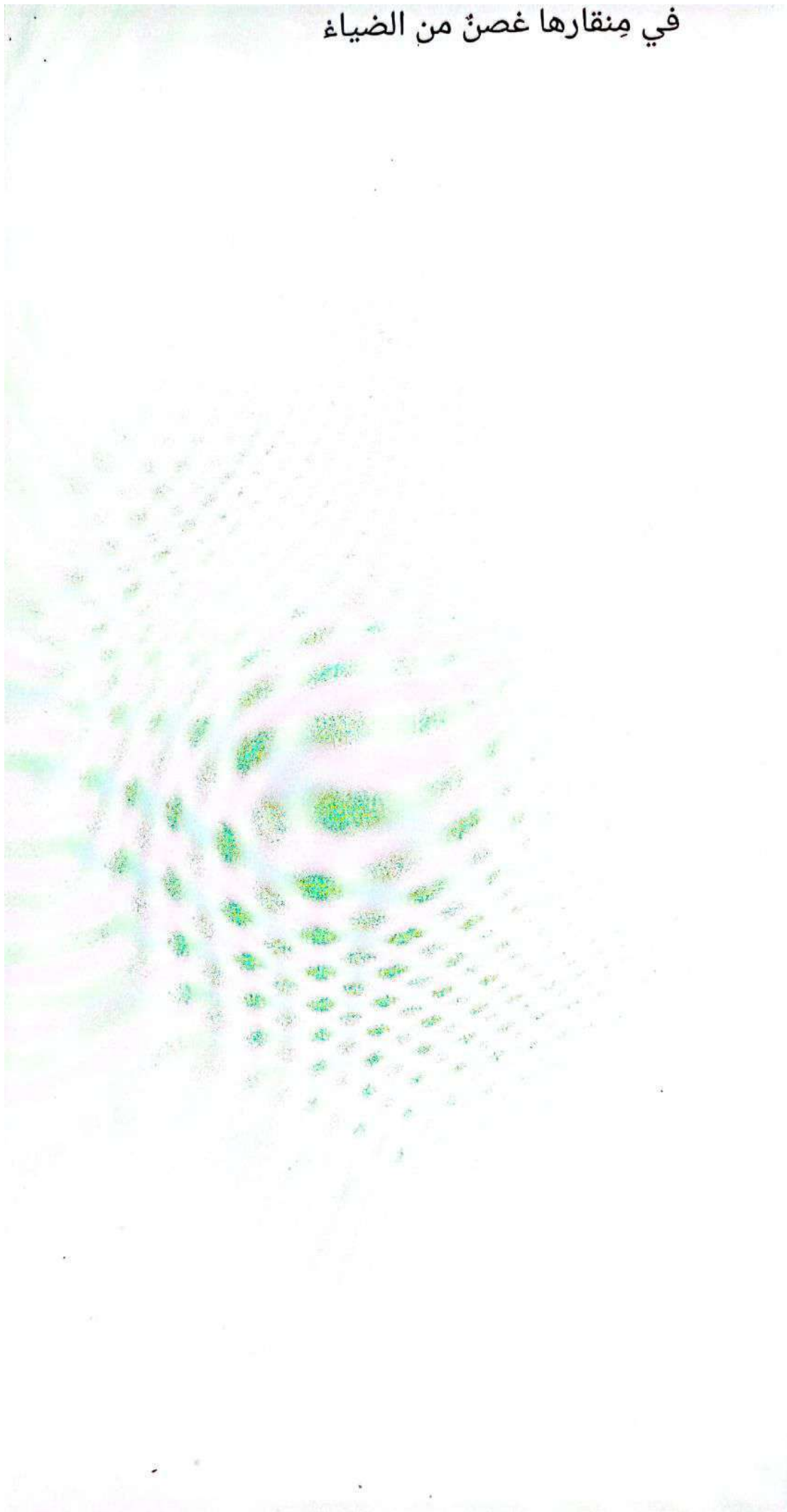
فخبزنا من موسمِ السنابلِ الجديدِ

ومن بعيدِ

ترفرُّ الميناءِ

حمامةُ بيضاءِ

في منقارها غصنٌ من الضياء



فلسطين في القلب

«وَضِعَ الشاعِرُ في الجِنَّةِ

فَصَرَخَ قائِلاً:

أه يا وطني...»

«ناظم حكمت»

استمعوا لي

إستمعوا لي،

إسمعني يا وطني،

فالآن خريف الأغلال يولي،

والآن سأحرق ظلي

كي لا أتمدّد في ظلي،

صفتاً، صمتاً، يا حملة أبواق

- الخفاش الخشبي - ،

يا أكلة فربان - العجل الذهبي -

صمتاً، ولترفع، يبرقها

العاصفة السريّة، والبرق السري،

ولتفرّد أجنحة صليبك،

يا قلبي،

طز بي، طز بي،

فهناك نافذة لم تُصَبِّغْ

بالبرق الأسود في وطني،

نافذة تذكّرني،

دالية تحلم بي

أن أقطفها،

أن تقطفني...

يا وِطْني، مَنْ لي،

مَنْ لي،

وبجرعةٍ برقٍ من سُخْبِكَ

وبكسرةٍ رعدٍ؟

لو جَمَعُوا كُلَّ الأَنْهَارِ بِكأْسِي

لصَرَخْتُ، وأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي

من عَطَشِي لَعْيُونِكَ فِي الشَّمْسِ

كأس الخل

واقترعوا يا شعبي

من يأخذ ثوبي

بعد الصلب...

كأس الخل بيمني

وإكيل الشوك على رأسي،

باراباش ابن السكير طليق،

وابنك يا شعبي

ساقوه إلى الصلب وللرجم...

يا شعبي...

أن أصرخ لا تدخلني

في تجربة، لا يا شعبي،

أدخلني في تجربة الصلب،

وجزغني كأس الصلب،

لن أهرب من دربي،

لن أهرب من كأسِ الخلِّ

وإكليلِ الشوكِ،

وسأنحِث من عَظمي...

مسمارَ صليبي وسأمضي

أزرع حَبَّاتِ دمائي في الأرضِ،

إن لم أتمزَّق كيف ستولّد من قلبي

كيف سأولّد من قلبك،

يا شعبي...

الخيط الذي ينمو في الريح

كُلُّ الرّايَاتِ المنفيّةِ قد عادت،

يا وَطْني...

إلا رايثُك المنفيّةُ من أفقٍ

ترتحلُ إلى أفقٍ،

في سوقٍ - لصوصِ الرّايَاتِ - ،

ثبأغ بلا ثمنٍ،

صاحٍ - النّحاسُ - تقدّم، بالحنجرةِ الملعونّةِ،

والمحشوّةِ بالخُطبِ،

خُذها لا تخجّلُ

خُذ رايّةَ وَطْني،

ما أرخصّها بجناحٍ من - ورقٍ - ،

أو سيفٍ من خشبٍ،

ضفّرَ منها إكليلاً من ريشٍ

لتزيّن رأسَ - الدّيكِ الهرمِ -

الصائحِ في كلّ الأسطحِ

والزّاقِدِ في كلّ السّررِ

لكن من يتبعُ في وَطْني؟

خُطواتِ السيفِ الخشبي؟

مَنْ يُلقِي

سُنْبلةً واحدةً في طاحونٍ من ورقٍ؟

ألقوا بأكاليلِ الرِّيشِ،

وألقوا بالسيفِ الخشبي،

ما زالَ من الرّايةِ خيْطٌ،

ينمو في ريجِكَ... يا وَطْني

لصوص الصلبان

أحبابي،

ألواخ صليبي ليست

أرجوحة جلاّدي

فلثقرغ أجراس الأصفارِ

لسنا نخلاً من رملٍ تحنيه الريحُ

ليلثم ظلّ السجان

لسنا رباناً قد نحرّ الأشرعةَ

على الشيطانِ

قرباناً للقراصنِ

فلقد ولّت كدخانٍ

ملء مناقيرِ الغربانِ

أيامٌ لصوص الصلبانِ...

كعطاشِ كنا

نتعثرُ بخربيرِ الأنهارِ،

كنا كنهارٍ

يتعثرُ بالأنوارِ

سنبلة لله وسنبلة للقيصر

أما قبض الريح فللحصار

أحبابي:

أن نحمل هودج سلطان

أن نُصلب كي يتسلق

ألواح الصلبان...

لصوض الصلبان...

أن تُصبح أعلامي...

أقنعة نوافذ سجاني...

لا، أحبابي،

قد كف الجرح يغرّد

لسياط الجلاد...

أحبابي:

إن ضلّ الجدول عن منبّعه

تمضّغه أشداق الكتبان،

فحذار، حذار

أن نخطف موجاً من بحري،

أن نزرعه في صحراء،

أَنْ نَخْلَمَ أَنْ يَصْبَحَ

حَقْلَ بَحَارِ،

وَحَذَارِ، حَذَارِ

مِنْ حَصَادِ أَفَاقِ

مِنْ فَرَطِ الْخَوْفِ الْكَذَّابِ

مِنْ لَصِّ الْحَقْلِ

حَمَاهُ، بِسِيَاجِ جَرَادٍ...

أَحْبَابِي:

لَا يَبْنِي الطَّائِرُ عُشًّا

فِي جُحْرِ الثَّعْبَانِ...

الطَّائِرُ لَا يَدْفَأُ

تَحْتَ جَنَاحِ الْحَدَاةِ، أَحْبَابِي.

فَكَفَاكُم، وَكَفَاتِي

نُفْحًا فِي الْأَكْفَانِ،

لَيْسَ يُضَمِّدُ جُرْحَ الْبِرْكَانِ

أَكْوَامَ مِنْ حَطَبٍ وَدَخَانِ

لِنَضْمَدُ جُرْحَ الْبِرْكَانِ

بِنَارِ الْبِرْكَانِ،

احبابي:

والفأس المدفونة في الجدران،

تستيقظ،

فليستيقظ حُرَّاسُ الجدرانِ

قصيدة إلى الأسلاك الشائكة

لو قُدِّرَ ألا يلدغ

كلماتي ثعبان

لو قُدِّرَ ألا تتفجّر

أوراقي ينبوعَ رماد،

لو قُدِّرَ أن تتسلّق

كلماتي جبلَ الأصفاد

لو قُدِّرَ أن ترسو

فوق ضفاف

كفك كالمجداف،

كاللؤلؤة الهاربة

تطاردها الأصداف...

لو قُدِّرَ أن تنهاز

كجدارِ أفاع

وكأعمدة من أظفان،

تلك الأسواز...

لو قُدِّرَ يا وطني

أن ألقاك

كالأرضِ البكرِ المولودةِ

من قُبلةِ زلزالٍ،

كشراعٍ قد تاهَ

وعادَ به الإعصانُ،

لسقطِ على سيفك،

يتمزِّقُ قلبي

من قُبلةِ سيفك، وأراك

البحار العائد من الشيطان المحتلة

«... وعاد من شطآنه، وقد

تعلقت موجة على شراعه...»

لو أن يا حبيبتى أشعاري

تعيش كالزيتون كالأنهار...

لو أن يا حبيبتى الدوالي

في العام مرتين تثمر الدوالي

لو أن يا حبيبتى أشجاري

تعيش في بستان سندباد

تثمر الطيور كالأوراق

وتثمر الأطفال كالأثمار

لو أن يا حبيبتى ملاحى

يعود من جزيرة الرياح

يعود يرتمي على الضفاف

بالجرح والشراع والمجداف

في صدره عجائب البحار

يعود فوق ظهره شراعى

وسلة الهدير والثمار...
والعشب والأسماك والمحار
وحزمة من السحاب والرمال
من شطنا المشرد الظلال...
يا عاصر الشراع في أقداحي
موجة قد أمسكت شراعي
من بحرنا كقطرة الشعاع
لم ترخه ومخلب الرياح
في قلبها، يا عاصر الشراع
في قلبي العطشان في جراحي
لثبق قطرتين للمصباح

الأغنية المعصوبة العينين

أين القمُرُ المعصوبُ العينين يساق...؟

وسَطَ الشَّحْبِ الفَاغِرَةِ الأشْدَاقِ،

أسوارٌ تفتَحُ وظلالٌ عاريةٌ

تركُضُ، أبوابٌ

تُذْبِحُ خلفَ الأبوابِ،

الصرخةُ عَلِمَ خفَّاقُ

الصرخةُ... أوراقُ

تسقطُ من شَجَرِ اللَّحْمِ،

غُصُونٌ... وِثْمَارُ

يا وَطَنِي أينَ الأغنيةُ تساقُ؟

خيْطٌ من دمكَ الخفَّاقِ يراقُ

من أجلكِ شلالٌ مرايا صفرِ،

يتكسَّرُ في وَجْهِي،

شلالٌ مَرَايا سوداءِ،

من أجلكِ أقحَمُ أسواري...

من أجلكِ أَرجمُ بالنارِ...

من أجلك أحمل أغلامي
في منفى الأرض كجوال
من أجلك خبزي بدمائي...
معجون، خبزي بدمائي
والوجه المشحوذ كناي
في ظلي غرر وأشعاري...

الطابور

إلى ص. ب

صهباء البربري: - زوجة الشاعر معين بسيسو

عاد الطابوز...

صحي أجراس مدينتنا، عاد الطابوز،

ليدق بكفك مفتاح مدينتنا،

عاد الطابوز...

والكعب الحجرية عادت،

والشارع كشارع إله مكسوز

صحي إسمي تتساقط أحرفه،

أجنحة نسوز،

درعاً لعيونك، لا تجرحها

أظفار عيون الطابوز،

صحي كل قصيدة حب فوق سريرك،

تخفق كالعلم المنشوز

صحي البرق النائم فوق ذراعك كالعصفوز

في ربح الصياد يطيز

يفرط أغنيتي غنقوداً من جمر

في شفتي ناطوز

مدينتنا المخموز...

أنا أسمعُ صيحةَ شُبَّاكِكِ

تطعنه عينُ الطابوز،

كغدير،

تطعنه عينُ الذئبِ العطشانِ المسعوز

وكنارِ ألقثِ معطفها فوقَ الشجرِ المقرون،

وكموجِ ألقى معطفه فوقَ غريقِ

أوشك أن يمسك بصخور،

قد ألقى الطابوز

معطفه الحجريّ،

على عَظْمِ مدينتنا المكسوز

مَنْ يَجْبُرُ عَظْمَ مدينتنا المكسوز؟

أينَ شِراغِكِ؟

في منقارِ الحدأةِ عصفوز

تمضغه والريش يطيز،

أعلاماً، أعلاماً، الريش يطيز

إلى طفلي دالية

دالية: - ابنة الشاعر معين بسيسو

وكمصلوبٍ يحلم،

لو تلمس قدماه...

الأرض النائبة كنجم،

لو يمشي،

لو يسمع وقع خطاه...

أنا أحلمُ بشتاء،

أنا أحلمُ أن نمشي،

كفك شعلة برقي،

في كفي شعلة أزهار،

تحت الأمطار...

وورائي أعلام الدمية،

أمراس جليد

تتلوى فوق الأسواز

ألف شتاءٍ قد مرَّ وما زال

مصلوبك يا وطني يحلم،

لو تلمس قدماه،
الأرض النائبة كنجم،
لو يمشي،
لو يسمع وقع خطاه...

جراح بلا أجراس

«إلى الذين يقاتلون ولا يعلقون

الأجراس في جراحهم...»

طاحونتي لا تطحنُ الدموع

كفى كفى تدور،

طاحونةُ الفراشِ والشموع

كفى جراحنا على أكفنا تسيب

ونلعنُ الصباح، من جراحنا يطيز

وغامتِ السماءُ والطريقُ

لم يُشعلِ القنديلُ...

والسحبُ ظلُّ درينا،

والجرحُ في شراعنا،

لم يلقِ بالمنديلُ...

ونلعنُ الأنهارَ من عُروقنا تسيب...

لم تنحِرِ الأمواجُ كالندوز

لم تُحرقِ الرذاذُ كالبخوز

لم تملأُ الكؤوسَ بالخريز

تَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا مِنَ الْجَذُوزِ...
يَا إِخْوَتِي لَا تَنْهَشُ الْجَذُوزَ
أَحْشَاءَهَا، إِنْ جَاعَتِ الْجَذُوزُ

كَفَى عَلَى مَرَاتِنَا، نُظَرُّ الصَّالِبِ
كَفَى عَلَى ذُرُوبِنَا، نُظَرُّ الْعِيُونَ

تَطَلَّعُوا لَا تَرْفَعِ الْجَذُوزَ
كَبِيرِي، جَرَّاحَهَا عَلَى الْغُصُونِ

كَفَى كَفَى تَدُوزُ
طَاحُونَةُ الْفَرَاشِ وَالْدُمُوعِ

في طريق الأنهار

عطشان

واحرقة شخبك يا عمّان،

في الصيف الناعي كالغربان

لم تمطر قطرة،

واحسرة موجك يا دجله

يا بَردي يا راوي الغلة

واحسرة صيحه

كاللمحة...

كالجرح الفاجر وانيلاه

والنيل صداها يا وِلداه

قد ذبحوا البلب

بجناح غراب

وأهانوا كأس جميع الأنهار

قد ظفحت خلف الأسواز

يا طفل الشخب العطشان

هي ذي أغنية الأسطورة...

هي ذي لعنثنا المحفورة

أن يسقط قلب الجلاذ،

قفاً، قلب الجلاذ...

في كف جميع الأنهاز

المصباح والطاحون

لم تزل أنت،

ومصباحي على جرحك أنت،

واسمك الطائر كالخنجر

قدامك أيان ارتحلت...

صاح، محفور على كل الممرات الكبيرة

والممرات الصغيرة،

ويذ تدفن في ظهرك كالفأس،

وفي كل مسيره...

والثعابين لها البوابة الكبرى

وأفراخ الشياطين وقطعان كثيرة

غير مصباحك، لا الليل يواريه

وغباد المرايا لن تجيره

صاح، والمصباح لا يأكل نوره

آه لو أعتصر الليل،

ولو قطرة زيت، للمصباح الصغيرة

لم تزل أنت

ومصباحي على جرحك أنت،

حَرثُوا الأَرْضَ، حَرثتْ،
زَرَعُوا الأَرْضَ، زَرَعتْ،
غَابَةُ الزَيْتُونِ لَمْ تُعْطِكَ
مَا يَمَلَأُ مِصْبَاحَكَ زَيْتاً
لَعَنُوا الغَابَةَ والأَرْضَ
وَلَكِنْ مَا لَعْنَتْ
فَامِضٌ كِي تُغْرِسَ غَابَاتٍ
وَأَشْجَاراً جَدِيدَةً...
فَلَعَلَّ اللَّيْلَ لَا يَهْبِطُ
فِي وَهْجِ الظُّهَيْرَةِ،
وَالطَّوَّاحِينُ الَّتِي عَاشَتْ
عَلَى قَمْحِكَ أَجْيَالاً طَوِيلَةً
أَطْعَمْتَ كُلَّ جَرَادِ الأَرْضِ
لَمْ تُعْطِكَ مِثْقَالَ فَتِيلَةٍ،
وَلَسْتَ شَمَشُونَ
وَمَنْ أَحْبَبْتَهَا لَيْسَتْ دَلِيلَةً
حَلَّهَا تَطْحَنُ، وَلَتَمِضْ لَكِي تَنْحَتْ
أَحْجَاراً لَكِي تَبْنِي طَوَّاحِينَ جَدِيدَةً

ليس في أرض جديدة
أنت لم تنزف كقرص الشمس
كي تبحث عن أرض جديدة
فالبراكين التي تخمد
لا تهجرها النار الكبيرة

جزيرة الشعارات القديمة

هوذا أنت، وأجراشك

أعشاش العصافير الطريذة،

صاح، من أي جزيرة

عدت لا تحمل

ضلبان الشعارات القديمة

عضة الأسوار للأسوار خلقت

وللشوك الجراحات الحزينة...

قال لي الراوي، وفي الأوتار

جرخ المقطع الفاجع من تلك القصيدة،

يا بحار الرمل،

يا خبز الأعاصير الشريذة

شاعري، قد كان في تلك الجزيرة،

كان في حقل الشعارات القديمة

كان ملقى وسط رايات وأجرايس طعيته

قلبه قرص من الشهد

وجاءته سفينه...

آه لم يشعل لها قمصانه ناراً

ولم يُحرق قصيده...

وبكى يسترجع الراوي

جراح المقطع الفاجع من تلك القصيدة:

حملته، أثقلت ظهر السفينة

أثقلته، أه يا صاح الشعارات القديمة

ألق للأسماك يا صاح الشعارات القديمة

ألق فالأسماك لا تقرأ

والأعماق خرساء كتومه...

عضة الزلزال والصحوه يا صاح،

وأنسام الأعاصير الجديدة...

والطواويس الدميمة

ريشها يسقط أشواكاً صغيرة

طابع بريد إلى القاهرة

حلفت بالقصيدة...

بطابع البريد وهو شرفتي الوحيدة

حلفت، قد عشقتها صغيرة

وحينما تفجرت،

وأرخت الضفيرة...

ذكرت وردة وريشة صغيرة...

لبلبل قد مات في الظهيرة...

ألقيتها في البركة الصغيرة...

والأعين الكسيحة القعيدة

تمد في الظهيرة

سَلْمًا،

تمد للشرفة النضيرة

قِصائدي تراكضت

خروفها الصغيرة...

فالذاري حبيبتي بعيدة

سَلاسلي ثقيله

سَلاسلي طويله

بلا بلي تموت في الظهيرة...

حبيبتى ... حبيبتى البعيدة...

لا تقتلي الثعالب الضريرة

ككرمة تضاحك

فطوفها النضيرة...

لا تسدلي الضفائر الطويلة

فالأعين الأئيمة الشريرة

تجدل الحبال في الظهيرة...

أتحلفين بالقصيدة...

بطابع البريد وهو شرفتي الوحيدة

بوردة، بشمعة صغيرة...

أوقدتها في الليلة الضريرة...

أن تكسري سلاسل الثقيلة

بريشة، بوردة صغيرة...

أتحلفين، قد حلفت بالقصيدة...

بطابع البريد، وهو شرفتي الوحيدة...

طائر من الرماد

الشاعرُ الذي مضى كقيمة،

وغابَ ثمَّ عاد...

كطائرٍ من الرماد

كحزمةٍ من الدخانِ

يَعُضُّ في عيونِ مُلهميه

في كتاب،

قصائدَ الزمانِ يا حبيبتي،

وعبرةَ الزمان...

ويُطعمُ الفراشَ للجراذ

والدرَّ للخنزير، والورودَ للكلابِ

الشاعرُ الذي مضى على ضفائرِ الرياحِ

وكانَ تحتَ قُبَّةِ الظلامِ،

في وداعهِ الصباحِ

الشاعرُ الذي مضى محارباً

وعادَ يسحبُ الجناحَ

الشاعرُ الذي رمى على المقابرِ السَّلاخَ

وعادَ يُلقي الشوكَ في عيونِ ملهميه،

يلعقُ المدان...

ويمضغُ الأوراق

ويغمضُ الحروفَ في الأحداق

الشاعرُ الذي مضى كغيمة،

وغابَ ثمَّ عاد

كطائرٍ من الرماد

تذوده الأشجارُ عن غصونها،

ويبصقُ الصيَّان...

أجراس من طين

النجدة ياوادي عبقر
قد هجموا بالقمر الأخضر
واختطفوا نيران الهيكل
واعطشي للمجرى الأول
ولخيطة في ذاك المغزل

فتعالوا زمراً فالمذبح
من غير دماء والجدول
ما زال على كف المنبع

أجراس من زبد تلمغ
أجراس من طين تدمغ
تستجدي الريح لكي تفرغ
وصلاة في وادي عبقر...
وسجين القافية الملجم
كالطائر بالريشة يلجم

يَدْمَى، يَتَمَرِّقُ، لَا يَخْلُمُ
وَبِرَاقِ الْقَافِيَةِ الْمُغْلَمِ
مَنْ قَذَحَ سَنَابِكِهِ الْأَنْجَمِ
قَدْ طَارَ بِهِ الْبَطْلُ الْمُلْهَمِ
وَسَنْزَرُغُ نَهْرًا لَنْ نَقْلَعُ
ظِلًّا أَوْ حَرْفًا يَتَضَوِّعُ
فِي رَوْضِ الْمُتَنَبِّي الْأَخْضَرِ
وَسَتَّجْرِي الْأَحْرَفُ كَالْأَشْرَعِ
فِي بَحْرِ مَفْتُوحِ الْأَذْرَعِ

أَجْرَاشٌ مِنْ زَبْدٍ تَلْمَعُ
أَجْرَاشٌ مِنْ طِينٍ تَدْمَعُ
تَسْتَجْدِي الرِّيحَ لَكِي تَقْرَعُ
وَصَلَاةً فِي وَادِي عَبْقُزٍ...

أغنية إلى زنجي أميركي

هل يصدأ هل يذبل

ظل المصلوب وينطفئ البلبل...؟

لا يا جيمي ولسون.

قمرى لن يسقط كالجمرة،

في قاع الجدول...

لؤلؤتي لن تتعفن

في الصدفة، تتعفن

عالمنا لن يجبن

لن يأكل ساعده.

لن يوقد

رايته، كي يزفد

في الدفء الوحش،

ولن يفرد

في مستنقع...

سجّانك أشرع...

يا جيمي ولسون...

ما أسماء

أطفالك، ما اسم يمامتك البيضاء

ما عنوان

بيتك إن كان

لك بيت أو عنوان

يا جيمي ولسون؟

أنا أعلم

أنك تلعن

آلهة الخبز الأبيض والأسود

أنك تتمزق

هل تحرق في سجنك

أم تشنق

لكنك تحلم،

فوق صليبك تحلم

بذراع سبارتاكوس تلمغ

والعالم يولد

منها سنبله فوق جبين

الأبيض والأسود

المصلوب على ناطحة سحاب

... لا ليست روما،

قد سقطت فوق السيف الخافق كالراية،

روما،

والقيصر قد مات،

والبابا ما عادَ

يبيعُ ضكوك الغفران

يا وطنَ جميع الألوان

إلا لون الإنسان

كذاب...،

حتى الحبرُ الصحاب

في شريان المطبعة،

وحتى الشباك

في البيت الأبيض كذاب

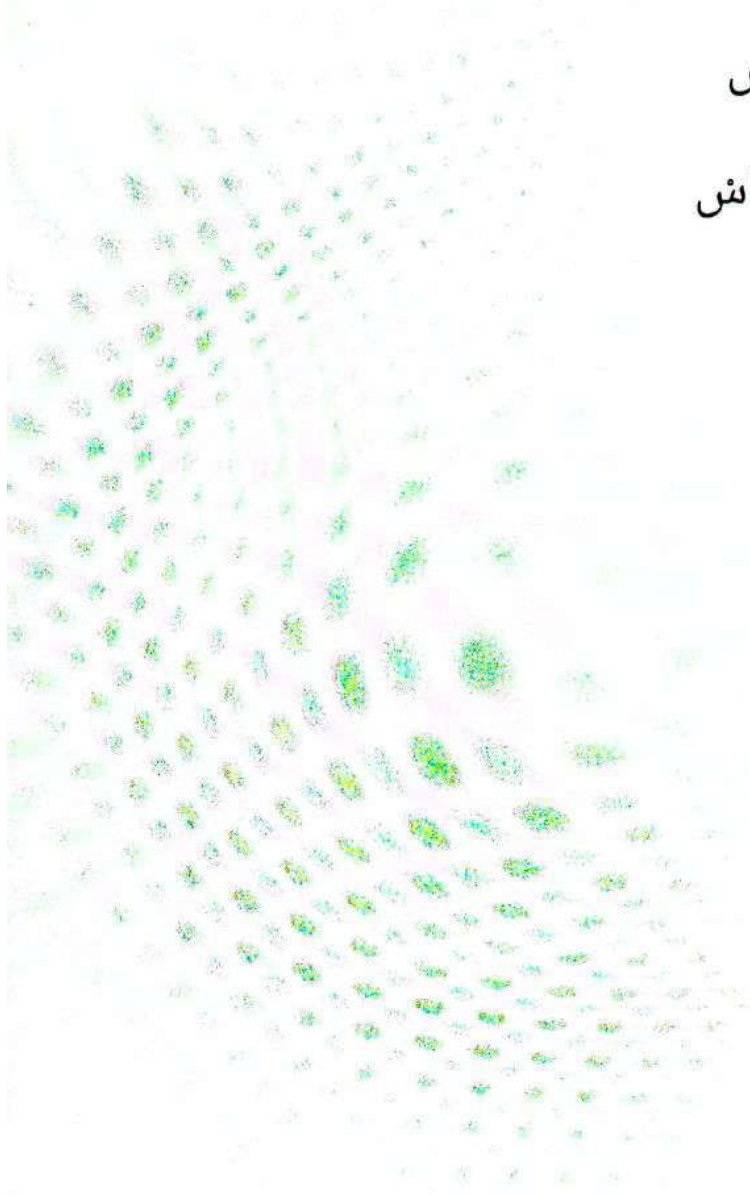
فأبو الأطفال

ما زال على ناطحة سحاب

مصلوباً ما زال

والقاتل ما زال

كإله الأجراس
أمطار... أمطار
أعلام... أزهار
وهدايا تكساس
فُقارٌ من ماش
وقِناعٌ من ماش



دقي يا أجراس الكومون

«باريس قبيل انتصار ثورة
الجزائر والكعوب الحديدية
لمنظمة الجيش الفرنسي
السرية تعض شوارعها».

باريس... الناز

سثُضرمُ في لوحات

بيكاسو في أبيات

إيلوارَ وفي حدقات

غُيونِ العقال

قد عادَ إلى الساحات

من وُلدوا من خطوات

«بيتان» براية «بيتان»

زَيْنُ يا قيصَرَ «عائلة الغيلان»

أجنحة الطاووس المنتوفة

بالصلبان المعقوفة...

ما أقصرَ خُطواتِ الطاووس

في ساحاتك يا باريس

قد عادَ إلى الخفقان

قلب «بيريه» المثقوب
ذقي يا أجراس الكومون
وإلى المتراس
رفاقي الحرّاس،
ما زال هناك نهاز
بلا أسواز
يا بدر قصائد «إيلواز»
في ليل الفاشية
ابزغ من شفتي «أراجون»
أغنيّة
للحرية.

أسطورة غيلان الثلج

غيلان من ثلج،

يدفعها الموج،

للشاطي صياد يصرخ:

أين الشمس؟...

- لا تفرغ...

أنا لم أسمع

عن أي سماء،

يتخشب فيها الغيم،

عن قطرة ثلج،

صارت لؤلؤة حمراء

لم أسمع عن نجمة،

قد سقطت فحمة،

في نار المرتعش، سجين القمّة...

هي ليست أسطورة

غيلان الثلج المقرورة

بعيون من زلف،

ومخالب من رمل،

تعدو في الظلّ

الأسود كالليل،

لا تسأل أين الشمس،

شمسك في أضلع غيلان الثلج

أظليغها بالفأس،

تتفجّر والغيلان،

تتكسّر كالعيدان،

من زيد ودخان

الموت في العام العاشر

«... وكانت العادة في تلك
البلاد، أن ترجم العاقر، في
الشهر التاسع من العام العاشر
لعقمها حتى الموت، ولو كانت
العاقر هي الملكة...».

الشهزُ السابعُ والثامنُ
في العامِ المرصودِ العاشرِ
قد ولى والملكةُ عاقرُ
ما شفَعَ الكاهنُ والساحرُ
والملكُ المحزونُ الناحلُ
قد جرَّ من الشوكِ سلاسلُ
يَطوي الأسواقَ بلا طائلٍ...
من يُعطي الثمرةَ العاقرِ...؟
كي تلدَ ولو ريشةً طائرًا!
العامُ الموعودُ العاشرُ
والملكةُ كإله خائفُ
من ضوءِ المصباحِ الراجفِ
تخشى المكتوبَ ولا دافعِ

لقضاء اللّوح ولا شافغ
«أن تُرجم في الشهرِ التاسعِ
في العامِ المرصودِ العاشز
أن تُرجم للموتِ العاقز»...

الليلةُ ثعبانُ زاحف
والملكةُ كالشبحِ الطائف
كالكرمةِ تنتظرُ القاطف
والديكُ على الشرفةِ ساهز
والحجرُ العطشانُ الحالم
بجبينِ الملكةِ والراجم
في مللٍ ينظرُ للراجم

النورُ خيوطُ تتسابقُ
كي تغزلَ للموتِ بيارقُ
الملكةُ في الشهرِ التاسعِ
الملكةُ كالقدحِ الطافخ
شَهَقَاتُ في القصرِ وصائخُ

والديك على الشرفة صائخ

والملكة قد ولدت طائز...

من ألقى في بطن العاقز

بالريشة، من كان الساحز؟

والحجر العطشان الحالم

يصحو، يتفتت والراجم

قد سقظ على ظل الراجم

قبل أن يصيح الديك

أحبابنا وقبل أن يلوخ،

الفجر، قبل أن يصيح،

الديك، واحد من الذين يغمسون

سناجلي بضوء شمعتي ويأكلون

مرة ومرتين،

يا أحبابنا يخون...

ويتبع الذين يشعلون

النار في اسمي،

والذين يرحمون

قصائدي ويُنكرون

سيفها مسرّاً على الصليب

أحبابنا وبعد أن يلوخ

الفجر، بعد أن يصيح

الديك، من ذريتي رفيق...

أضاء من ضلوع

صليبي المزروع

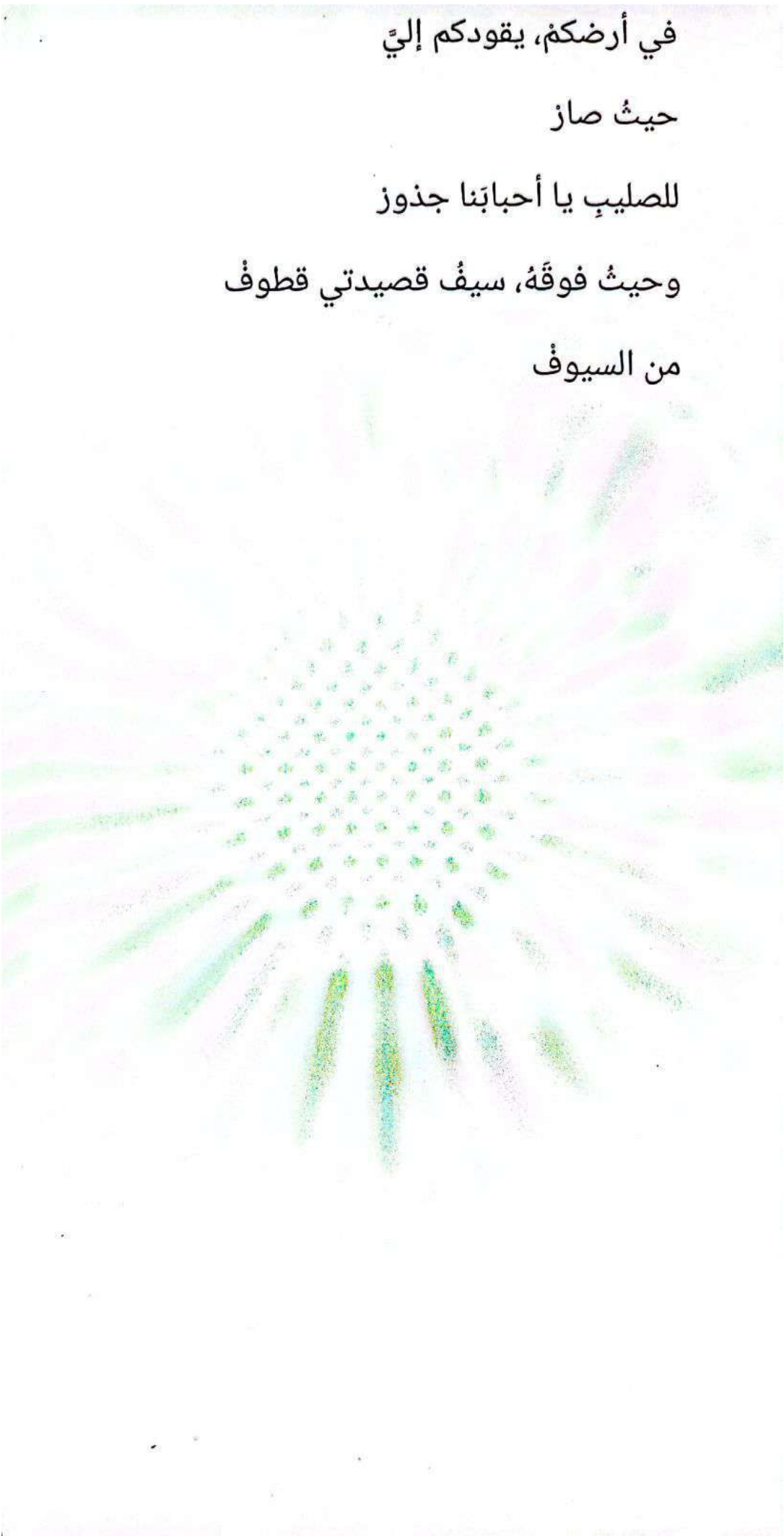
في أرضكم، يقودكم إليّ

حيث صار

للصليب يا أحبّابنا جذور

وحيث فوقه، سيف قصيدتي قطوف

من السيوف



النهر الثالث في العراق

أنا لن أراك، ولن تراني فالموائئ والبواخر
والطائرات وكل ما هو للحقائب، والمسافر
مسدودة إلا المسالك، للسجون أو المقابر

أنا لن يطير إليك صوتي فالإذاعة والمطابع
والبرلمان وكل أبراج المصانع والمزارع
للمانعين سوى الكلام، مع البنادق في الشوارع

أنا لن أخط رسالة لك لا طوابع لا رسائل
تصل الرصاصة بالرصاصة والمقاتل بالمقاتل
فهنا يخافون الأغاني والطوابع والرسائل

عبثاً تفتش في الخرائط والمعارض والمراسم
لا لن تراها أو تراني، لن ترى غير العواصم
غير المتوج بالحديد على الطوابع والدراهم

وأنا وهذي الأذرعُ الحُبلى وما ولدت رهائن
من شارعٍ قَذَفَ الرِّثاءَ على الوجوهِ على المساكنِ
أو ثائرينَ معلقينَ على المطاحنِ والمكائنِ

لكنها نُقِشتْ على يدِ كلِّ كادحةٍ وكادخٍ
يتقاسمانِ الموتَ في مستنقعاتِ «الشيخِ رايش»..
علمَ عباءتهُ تُظَلِّلُ، كلَّ مذبوحٍ وذابحٍ

أنا لن أراكِ وربما ذابتِ ثلوجك في الخنادقِ
فذكرتِ دجلةَ والفراتِ وخفق أشرعةَ المشانقِ
فهناك نهرٌ ليسَ تذكرُهُ الخرائطُ والوثائقُ

من «نقرةِ السِّلمانِ» ينبعُ والسَّجونُ له روافدُ
أنا لستُ أملكُ غيرَ قيثاري وُصْلبانِ القصائدِ
واشوقِ راياتي الحبيسةِ للشوارعِ والسَّواعذِ

سواعد من بارود

قايس كسواعد من بارود

كعطر رعوذ،

كبيارق من ريش جناح الإعصار

كقصائد عمدها الشاعر في الناز

مُرّ كرمادِ دموع الأطفال

قايس كظلال العمّال،

قد كان يرفرف صوتك يا بغداد،

من راح يرش دماءك في كل طريق

ويصيخ الأرض المخمورة، ليس تفيق،

وجراحك، ودمائك قبض الريح

وصليبك لن يولد منه مسيخ...

يا رمشاً يضحك في سوط الجلاد،

يا وحشاً من زبد

قد مدّ المخلب والناب

في وجه الإعصار،

وغراباً من حطب، قد جنّ

فمدّ المنقاز،

يلتقط الجمر من النار
هي ذي راياث الأسوار
تطعمها الريح إلى النار
وأنا العطشان الصدّاح
أشرب من كأس الأرض وقد حبلث
من قُبلة فلاح،
نخبكمو، نخب الأغلال
ولدت أجراس الزلزال...

لمن الشارع

لمن الشارع، مَنْ يملكه:

نحنُ أم مَنْ يملكُ الجيشَ الكبيرَ

ظردت منه الجماهيرُ التي

خفقت من قلبها فيه القصورُ

لم تغدُ تدوي به صيحاتها

وهي في هبَّتِها الكبرى تُسيز

أعينُ الأطفالِ لن أزرعها

في حقولي، لستُ حصَّادَ قبوز

لمن الشارعُ لا ظلُّ به

يا رفيقي، غيرُ أشباحِ الجنودِ

غير «قف، من أنت» تدوي كلما

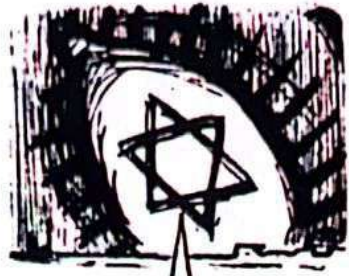
ملاً الشارعَ ظلُّ لشهيدِ

غيرَ أنَّ الشارعَ الدَّامي لنا

رغمَ ما رشوا عليه من جنودِ

آه من السنةِ النيرانِ ما

أعذبَ الزنبقَ نجني والورودِ



السيف على العنق

أخي، لو شَحدوا السَّيفَ على عُنقي فلن أركع
ولو في فمي الدَّامي حبالُ سِياطهم تُنقَعُ
فلن أرجعَ عن فَجري، لن أرجعَ، لن أرجعَ
وقد أوشكَ أن يطلعَ، قد أوشكَ أن يطلعَ
من الأرضِ التي من ثديها بركائنا يرضعُ

أخي، لو جَزني الجلاذُ قدامك للمذبخِ
لكي تركعَ، ترجوهُ بأن يعفو وأن يصفحَ
أخي، ارفع رأسك الشامخَ كي تشهدني أذبح
لكي تشهدَ جلادي، والسيفَ الذي يرشخُ
أخي، من يفضخُ الجلاذَ، غيرُ دمائنا تفضخُ

لقد خَطفتهُ في الليلِ بِنادقهم من الخندقِ
وفي ليلِ الزنازينِ رموهُ رايةً تخفقُ
على الأغلالِ نُوقِدها مشاعلَ في الدُّجى تحرقُ
وفوقَ رَمادها نُصغي إلى المُستقبلِ المُشرقِ

تَصْرُ خَطَاهُ كَالْمِفْتَاحِ فِي سَجْنِ الدَّمِ الْمَغْلُوقِ





إلى المتاريس

أرسمي من دمي ومن أصفادي

يا أيادي، خريطة لبلادي

واحصدي من جبالها زَهْرَاتِ

نامَ عنها الثَّوَارُ قَبْلَ الحِصَادِ

قَدَمِيهَا لِكُلِّ مَنْ رَفَعَ الرَايَةَ

رغم العذابِ والاضطهادِ

من يَدَاهُ فِي القَيْدِ لِكِنَّ عَيْنِيهِ

بفجرِ الحرِّيَّةِ الوَقَادِ

أيها الرافعونَ أعينهم تبحث

عنه في قوَّةِ وعنادِ

إن رأيتم سحائبنا مثقلاتِ

بدماءٍ فالفجرُ لا بدَّ بادي

وعدتنا أنوارهُ صدقُ الفجرِ

فما كانَ مخلَفَ الميعادِ

الضحايا قد عانقتها الضحايا

والأيادي تشابكت بالأأيادي

فنهوضاً إلى النَّضالِ نهوضاً

لا يعيش البركان تحت الرماد

ولنغظ السماء بالعلم الدامي

فأعلام شعبنا في ازدياد...

ولنسز تحتها خطى ولدتها

أمهات الحبال والأصفا



الأم

لك الجماهيرُ أبناءُ بلا عَدَدِ

فَلَسْتَ وحدك يا أمًّا بلا ولدِ

إن يُغلقوا بيتنا الدَّامي فقد فتحوا

لنا الزَّنازينَ بيتاً شامخَ الزردِ

من خلفِ قضبانِهِ نرْمي الدماءَ على

مُكَبِّلينا رصاصاً من فيمِ ويدِ

إنَّا جعلنا «طوابيه» منابرنا

وفي «العنابرِ» حيثُ اصطفَ جيشُ غَدِ

قد أقسمت هذه الأيدي وما كذبت

بالشعبِ لم تنحرفْ عنه ولم تحدِ

بأن سترشخُ في أغلالنا لهباً

حتى تحزرننا من عيشنا التكدِ

من عيشك المر، يا أمي وهل سنَّة

تمرُّ من غير أن ننفى من البلدِ

من غير ينقعوا في القيدِ كلِّ فيمِ

أبى يساومُ في حقِّ ومغتقدِ

مَشى الطريق ولم يرهَبْ وُعوَرتها

وليس غير أيادي الشعب من سند

أمامه كل من لم يلق رايته

وخلفه كل منهار ومرتعدي

هو الكفاح فخطي يا مطارقه

بقيد مضطهد تاريخ مضطهد

إن يمنعوا نشره فلتطبعيه على

نور الدماء وفي حقد وفي جلد

وعند أسماء من عاشوا الكفاح وهم

مطاردون بلا أسماء فاتئدي

وقبلي أحرفاً قد رسخت قدماً

للشعب كالجذر كالشريان في الجسد

خطت تقاليد شعب عاش مجرمه

رغم المشانق والإرهاب في سهد

محاصر بالدم المسفوح قد زحفت

سيوله فتطلع ليس من مدد

هي الحقيقة يا أماء تدفننا

بغيرها القلب لم يدفا ويتقد

لن يخدع الشعب من لو فتشبت يده

سوى مفاتيح سجن الشعب لم تجد

أماه إن عاد أبطال الكفاح على

موج الكفاح الذي يعلو ولم نعد

ويسأل الشارع الولهان: أين مضوا

ما بين مختطف ليلاً ومفتقد

أماه مهما احتواني القيد منفرداً

فإنني بنضالي غير منفرد

إن كان قلبي خفاقاً إلى أمد

قلب الجماهير خفاق بلا أمد

براية الشعب يكسوك الرفاق إذا

عريت فامشي بثوب بالدماء ندي

وإن يعصك ناب الجوع مفترساً

فقد عجنا رغيماً من ضياء غد

من لم تودغ بنيتها بابتسامتها

إلى الزنازين لم تحبل ولم تلد

الأشجار تفوت واقفة



اللَّهُ سَجَدَ لَمْ يَمُوتَ وَاقِفًا

الكراسة الأولى



الوجه الآخر للشجرة

كإله من غير يدين

تتبعني يا وطني و غرابُ البين

يعرجُ قدامي ويصيخُ إلى أين؟

يا طالبَ رأسِ القيصرِ،

يا حافي القدمين

مَنْ يَشْرَبُ من كأسِي مَنْ؟

النهزُ الواقفُ كالشجرة، لا يتبعُ نجمين

السيفُ انكسرَ وما ضاجعَ غمدين

مُث بينَ الجبلين

لم تُشعلُ نارين، ولم تُسلكُ دربين

لم تطرُقُ بابين

طائرُك الميِّثُ في كَفِّك

ما غرسَ المنقارَ بكفين

فإلى أين إلى أين

إلى أين

يا طالبَ رأسِ القيصرِ

يا حافي القدمين!

ثلاث كؤوس لأهل الكهف

(1)

الكأس الأولى آه

سَقَطَ الأَسَدُ وَجَرَ النَخَاسُ الأَشْبَالَ

والمخلبُ كالزهرة، والنابُ كعودِ الرياحِ

يا مَنْ يُرسلُ في اللَّيلِ المَوَالِ

الكرملُ ما زالَ بعيداً،

والخنجَرُ في ظهرِ القمرِ الجَوَالِ

قَلبي انْفَطَرَ على جَبَلِ النازِ

هُزَّ التينَةَ، هُزَّ الزيتونَةَ،

لا تقربِ شَجَرَ البارودِ

قَرَأوا حتى ابيضَّتْ أعينُهُم،

في الأَسفارِ السودِ

وانسَكَبَ مع اللَّيلِ المَوَالِ

كَبُرَتْ في القفصِ الأَشْبَالَ

والغابةُ تحتَ بساطِ الشاهِ

الكأس الأولى آه

(2)

والكأس الثانية المنقوشة

في لوح الكرمة آه

سَرَقُوا مِصْبَاحَ عِلَاءِ الدِّينِ

وَأَصْبَحَ عَبْدَ الْأَشْرَازِ

يَا وَلَدِي الْجَنِّي الطَّيِّبِ

وَصَدِيقَ الْفُقَرَاءِ

أَغْرَسَ نَائِكَ فِي قَلَمِي

فَالآةُ عَلَى الْجُرْحِ دَوَاءُ

وَاحْمِلْ مَجْدَافَكَ وَاتَّبِعْنِي،

مَا قُدِّرَ كَانُ

يَا فَا تَرْحَلُ، قَدْ هَرَبَ،

بِمِفْتَاحِ الْبَحْرِ الرَّبَّانِ

آهِ مِنْ قَلْبِ الْبَحْرِ

وَمِنْ قَلْبِي آهِ

(3)

والكأس الثالثة المشؤومة

آه

قد أقبل آذاز

واستيقظ أهل الكهف

وأرخی أذنيه الطبل

وفتح عينيه المزمأز

الشارع في قدميه الأغلال

يمشي يا وُلدي ألف شعأز

يرجفه التاجز واللص

وعمر المختأز

مشنوقاً يتدلى،

قارورة طيب،

يكسر في قدميه الأشرأز

العندليب في البئر

للتعابين جحور، للعصافير فنن

آه للميت كفن

ولكل الناس في الأرض وطن

ذلك الوشم على صدرك

يا حُبلى لمن؟

أرضي للوائد الأنثى

وللسبي الذكز

وضعوا الفأس على أصل الشجر

فمتى تنطق يا بوق الحجز؟

أنت يا رمح الخشب

أبدأ تنبُخ في وجهي يا رمح الخشب

سَقَطَ الفارس في السرك

وأعياء التعب

أكل الضبُع على الدرع طويلاً وشرب

إيه يا قافلة السبي،

لقد طال السَقَز

سَقَطَ الظل على الظل

وضيعت الأثر

ودليلي قتلته الريح

ألقته على البئر حجز

سألوني كيف في السبي

أغني ولمن؟

آه علقها على ذاك الوتر

سمكات الساحر الأسود

في ضوء القمر

لم يزل يوسف في البئر ومن

آه قد ألقى له الحبل هلك

مد ألوانك يا قوس قزح

مد ألوانك فالحبل انقطع

يافا في بطن الحوت

النَّسْرُ من تابوتهِ الحجريِّ

بالمصباحِ طاز

بجناحهِ شقِّ الجدارِ

سَمٌّ ولؤلؤةٌ بكأسك،

أيها الأعمى حذاز...

ودمٌ ومعجزةٌ بلا قمرٍ

تسيرُ بلا حجاب

قمصانُ عثمانَ التي بليث على الأيدي،

ومَضَحْفُهُ المَخْضَبُ بالدماءِ

في كلِّ ساريةِ قميصِ خافقٍ

وفمٌ على بوقِ مُعارِ

يافا ببطنِ الحوتِ ما زالت

يجوبُ بها البحاز

الحوثُ تاه

من ذا يدلُّ الحوتُ يا طفلي

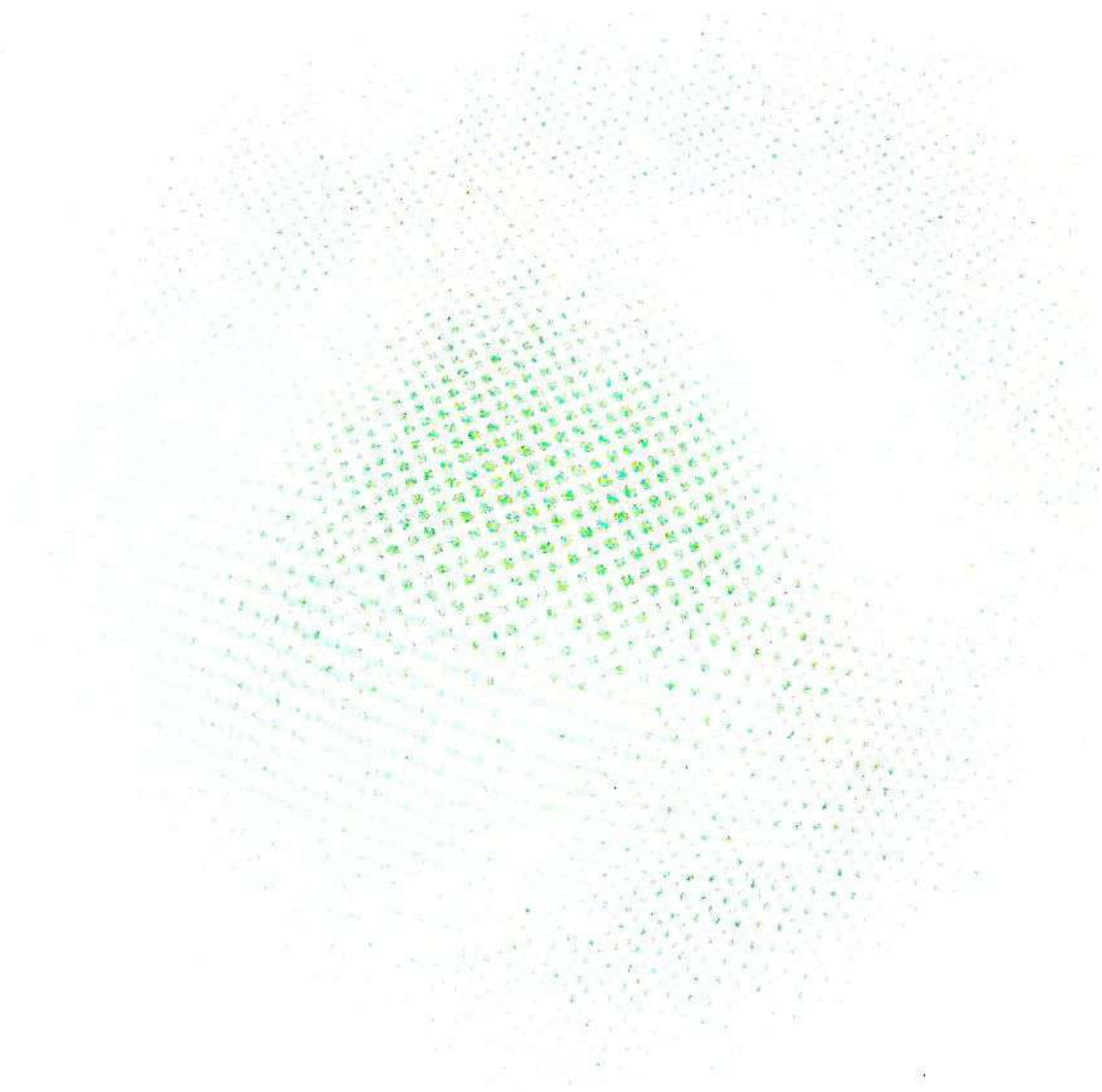
ويطويه العباب؟

من ذا يعلِّقُ في رقاب

هذي الذئابِ السّودِ

أجراساً،

ويطمعُ في الإياب؟



غصن ليمون

إلى إسماعيل شموط

العينُ المخلبُ في الغاب

تبحثُ عن صيدٍ والحدأة

شاخت، راحت تتوكأ فوق جناحها

نَحَرَ السوش المنقاز

يا مَنْ يسكبُ في الكأسِ

حَرِيرَ الألوانِ

الشمسُ اللبؤةُ قد شَبِقَتْ فحزاز

من نرجسِ عَيْنِهَا، من سُدرِ الزنبقِ،

من بَرَقِ اللّونِ القتالِ

يا غصنَ الليمونِ الجوّالِ

دارت كالطاحونِ،

على الأجنحةِ الأيامِ

وانتحبَ البلبُلُ،

فَتَّحَ عَيْنِيهِ، الطفلُ الميِّثُ

في البستانِ

رَقَدَ على تابوتِ الثلجِ البركانِ

بَصَقَ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ الثَّعْبَانُ

أَنْتَنَ فَوْقَ الْجَبَلِ الْقَرْبَانُ

سَكَّتِ الْعُودُ

وَاحْتَرَقَ الْعَنْقُودُ

أَجْرَاسُ وَرُودُ

يَقْرَعُهَا طِفْلٌ قَدْ عَصَبُوا عَيْنِيهِ،

أَجْرَاسُ وَرُودُ

وَاللُّدُّ عَلَى ظَهْرِكَ،

وَالنَّارُ بِسَاطٍ مَمْدُودُ

وَجِرَادٌ قَدْ حَطَّ عَلَى حَقْلِ جَلِيدُ

وَالرِّيشَةُ عَطَشِي،

قَدْ بَسَطَ جَنَاحِيهِ التَّيْنُ

فَوْقَ الْيَنْبُوعِ الْمُخْتَوْمِ

جواز سفر فلسطيني

للسائح العجوز، للطاووس،

للمهزّب السعيد

نوافذ القطار، صولجان البحر

ريشة العنقاء للأمير

شباك هذي الأرض، بابها،

بطاقة المروز

يا هذه الأخشاب سُدّت

يا هذه الحدود

طرق باب من أحبّ

ردني ناطور بيته الشريز

وقد أتيت حاملاً متراسي الصغير

أكلت ما في جعبتي،

شربت ما في قربتي

ولم أزل أسيز

جوادي الوحيد قد نحزته،

أكلته مع الوحوش والصقور

حتى السراب، لا يؤمل العطشان

لا يلوخ

والريح سرُّها في صدرها،

فلا تبوخ

والنبغ تحت هذه الصخور،

من يزحزخ الصخور

وكل ما اشتهيت في مخالب السباع

في مخالب النسور

أتممت ألف دورة، ولم أزل أدوز

وهذه الوحوش حول خيمتي تدوز

متى أراك، إنني أموت،

أموت في مغارة الضباع

في خيوط عنكبوت

أموت لا يمرُّ نَعشي الصغير

تحت قوسك الكبيز

الدم والمستنقع

أرخص من مياه ذلك المستنقع النتن

أرخص من زجاجة من العرق

دماؤنا،

أرخص من منديل موميس،

من قطعة الصابون،

لحفنا،

من كسرة من الحطب

أرخص من لجام بغلة،

شرياتنا،

أذل من وتذ

بَيْرَقْنَا، يا ناظم القوائد العجب

يا راجم الخُطب

في وَجْهنا، يا آكل اللهب

تعال واصطحب

سلطانة الغناء والطرب

فقبز من ثحب مرتين يحفرون،

قبر من ثحب

ناري بلا لهب

ونجمتي بلا ذئب

وحدوة الحصان كل ما كَنَزْتُ،

لا تغب

يا أيها العصفورُ في الشُّحْبِ

ما زلتُ فوقَ نَعَشِكَ الملعونِ أنتحبُ

وكيفَ هذه الإوزةُ الخشبِ

تُعطي لمن يَنوُحُ،

بيضةً مِنَ الذَّهَبِ؟

القمر بعد ثمانية عشر عاماً

هنا توقّف الأثر

هنا القمّر

خَلَفَ الصخورِ والخيامِ والشجّر

يضاعِجُ الذئابَ والكلابَ والحجز

هُنا القمّر

يببغُ وجهه، في كلّ ليلة،

بخنجرٍ، بشمعةٍ، بخصلةٍ من المطر

لا تُلقي في نيرانهم حجز

لا تُسرِّقِ الخواتمَ الرُّجاجِ،

من أصابعِ العَجَزِ

ناموا، ونامتِ الأسماكُ والنجومُ والشجر

هنا توقّف الأثر

هنا المخاضُ جاءَ للقمّر

فلتعطه خواتمَ الرُّجاجِ،

والأساورَ الزرقاءَ،

يا قبيلةَ العَجَزِ

المومس وزهرة عباد الشمس

تلك المومس ذائعة الصيـث

من كنت تحب،

وما زلت تحب،

خاتفها في غصن الزيتون،

خاتفها في القلب

سقطت زهرة عباد الشمس

طفحت يا وطني الكأس،

باسمك قد سدوا الدرب

وانطلق من القفص الذئب

باسمك تلك المومس،

ترقص بقناع الرب

باسمك يتدحرج

رأس الرب

ثلاثة رابعهم كلبهم

... وجاء غاويًا من الذئاب

أعوذ الذئاب

الثعلب المقطوع ذيله

وآكل الديدان والذباب

وتاجر الأجراس والضباب

دعوتهم إلى كتاب الله والكفاح

فمشطوا اللحي وأقبلوا،

أعلامهم، على أسنة الرماح

أيديهم على مقابض السيوف

أيديهم التي عرفتها،

برأس كل ثائر تطوف

الماء في فمي، لكنما الكلام

إن لم تقله مثل عضة الثعبان،

يقتل الكلام

قد شمرت عن ساقها،

يا فارسي الأيام

ثلاثة، وكلبهم مضوا،

والآخرون سَرَّجُوا الخيولَ
ماذا أقولُ للذينَ يسألونُ؟
الماءُ في فمي لكنَّما في الجرحِ،
لا تبييضُ هذه السكِّينَ

مصباح علاء الدين إلى صهبا

صهبا البربري: - زوجة الشاعر

معين بسيسو.

أعطيك طيرَ الرِّخِّ، يا حبيبتِي،

أعطيك خاتمَ الطَّلَبِ

أعطيك كنزَ الماردِ المخبوءِ في الشُّحْبِ

وكلَّ ما أعطاني العدوُّ والصديقُ

وكلَّ ما جمعتهُ، من بيضِ هذه الحَيَّاتِ،

في الطريقِ

وما التقطتُ من أساورِ الثعالبِ الخضراءِ،

والطيونِ،

لو عادَ من جزيرةِ الغيلانِ،

ذلكَ المحاربُ الصغيز...

لكنَّ طيرَ الرِّخِّ طارَ،

ريشةٌ لم يُعطني،

وهاجرتْ بكنزها الشُّحْبِ

واسترجَعَ الجنِّي خاتمَ الطَّلَبِ...

ما زلتُ أنتظرُ

فلتعطِ صخرة العذاب،
كلّ ما في قلبها من الزّهز
ولتعطِ هذه الأشواك،
آخَرَ الثمر...

ما زال في العنقودِ حبةً،
وفي السحابِ،
قطرةً من المظن،
ما زال في المصباحِ،
شهقةً من الزبد...

مَنْ قالَ طيرُ الرّخّ عاقِرٌ
وهذه الأمواجُ لن تَلدّ؟

الكراسة الثانية

من أوراق أبي ذر الغفاري

(1)

وسارَ وحدهُ وماتَ وحدهُ وعادَ،

يصيحُ مثُ لم تزلُ،

بقيّةُ منَ الكلامِ في فمي

نُفيثُ مرّتينِ، مرّةً هنا،

ومرّةً هناكَ في الحديقةِ المُعلّقةِ

بلوثِ ضُحبةِ الملائكةِ

بلوثها، سيّفثها،

صَجِرثُ من ولدانها المخلّدينِ، حورها المزوّقةِ

وحَمَرها المُعتّقةِ

وعدتُ يا معاويةَ

ألقي بشعرةِ الذئابِ،

في مغازلِ العناكبِ المُشرّدةِ

(2)

السيّفُ ليسَ مثلما تُصوِّرونَ والكتابُ

يا أيها الذئابُ،

قسمتُمُ الأسلابُ

فللمهاجرين حفنة من الزقوم،

جرعة من الغسلين للأنصار،

بلال لم يزل مؤذناً

في ثقب إبرة، بلال

ولم يزل عثمان،

يداه تقطعان أرض الله،

وهو خاشع يرتل القرآن

(3)

لمن ثمار هذه السيوف

قاتلت في البحار والقفار

وساقت الرياح والزماخ للخليفة القعيد

ألف مركب وهودج من الذهب

وصار للولاة، ألف قينة،

وألف قصص،

وألف بئر خمز

وألف فم...

(4)

في كل ليلة يدق بابي السياف

كيش النضار في يمينه،

والنطع في يسراه

يقول لي أثقلت بالكلام،

كفة الميزان

يقول كائز الدماء في العروق

معانق الخيول في نهاية الطريق

يا صاحبي حدّاز

من سقطّة اللسان

فبغلة الأمير خلف هذه الجدران

تسمع الكلام

أميزنا جباله طويلة،

وسيفه قصير...

(5)

مَنْ سَوْفَ يُعْطِي غِمْدَهُ،

للسيف كي يموت؟

مَنْ سَوْفَ يُعْطِي جِلْدَهُ

مِنْ هَذِهِ الْحَيَاتِ لِي كَفَنٌ؟

مَنْ سَوْفَ يَكْسُو الرِّيحَ فِي الْقَفَازِ

ثوبه الوحيد؟

لو تهدي إليّ أيها الصديق

والذئب في الظلام نجمة

تنور الطريق

لو تهدي إليّ أيها الصديق!

أحلام عبد الله بن المقفع

وَشَيْتَ بِي، قَتَلْتَنِي،

وَكُنْتَ شَاهِدًا عَلَيَّ فِي بِلَاطِ دَبْشَلِيمَ

وَكُنْتَ صَاحِبِي الْقَدِيمَ

سَقَطْتُ مِنْ مَخَالِبِ الْعَنْقَاءِ،

يَا حَوْرِيَّةَ الْجَحِيمِ

سَقَطْتُ فِي سَرِيرِكِ الصَّغِيرِ

وَالْخَمْرُ فِي جِرَارٍ يَبِيدُ،

وَالْجَمْرُ فِي حَوَاصِلِ الطَّبِيرِ

قُتِلْتُ حِينَما عَلَّمْتِكَ الْكَلَامَ

يَا سَارِقَ الْأَحْذِيَّةِ الْحَمْرَاءِ،

مِنْ أَعْنَاقِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ

قُتِلْتُ حِينَ قُلْتُ لِلْأَسَدِ

تَمُوتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ

تَمُوتُ حِينَ تَسْقُطُ الْيَمَامَةُ الزَّرْقَاءُ

فِي الشَّرْكِ

تَمَلُّ أَعْيُنَكَ النَّمَالَ، يُغَمِّدُ الْوَتْدَ

تُسْحَبُ بِالْحَبَالِ، يُغْلِقُونَ

بَابُ ذَلِكَ الْعَرِينِ بِالْحَجَزِ

تَغْرِشُ فِي أَحْشَائِهَا،

أَغْصَانُهَا وَتَنْتَحِزُ

تَمُوتُ بَعْدَكَ الشَّجَرُ

مَغْذَرَةٌ مَوْلَايَ إِنَّا بَشَرُ

نَنُوحُ كَالْحَمَامِ، نَلْبِشُ السَّوَادَ،

ثُمَّ يَطْلُعُ الْقَمَرُ

وَيَمْلَأُ الزَّيْبُ مِنْ جَرِيرِ قَلْبِنَا،

وَيَسْقُطُ الْمَطَرُ...

أغنية على النطع

مُنذُ أَلْقَيْتُ عَلَى طَاووسِكَ الأَعْرَجِ

حَبْرِي،

مُنذُ لَمْ أَكْتُبْ،

بِمَاءِ الوَرْدِ شِعْرِي،

لِجَوَارِيكَ، وَلَمْ أَلْهَثْ،

بأَوْزَانِي مِنْ قَصْرِ لِقْصِرِ

وَعْرَاةِ الأَرْضِ أَلْقَوَا،

ظِلَّهُمْ، حَيْطاً بِنَوَالِي

وَأَنَا وَاللَّيْلُ وَالصَّقْرُ يُتْبِعُ نَجْمِي،

وَذَنَابُ تَمَضُّعِ الثَّلْجِ،

وَصَيَّادُ يُعْنِي

زَنْبِقُ طَارَ مَعَ الرِّيحِ،

وَلِلْقَسَطْلِ فَيْرُوزُ تُعْنِي،

لَمْ يَبِغْ جِبْهَتَهُ الشَّاعِرُ،

يَا فَيْرُوزُ عَنِّي

لِلْعَصَافِيرِ الَّتِي مَاتَتْ عَلَى شَبَاكِ سِجْنِي

لِلْعَنَاقِيدِ الَّتِي تَحْلُمُ،

أَنْ تَمَلَأُ دَنْيَ،

وَأَنَا وَاللَّيْلُ وَالصَّقْرُ الَّذِي يَتَّبِعُ نَجْمِي

وَنَدِيمِي السَّيْفُ،

نُطْعِي تَحْتَ رَأْسِي

إكليل نار

إلى عقار بن ياسر

شجرُ الزُّقومِ قد أخصب،

لم يسقط مَطَرُ

وَلَدتْ أصنامُكَ السَّودُ حِجْرُ

وَأباً صارَ هُبْلُ

حَبّاً اللَّيْلُ القَمَزُ...

فالقرايينُ طيورٌ وشجرُ

ونجومٌ وبشرُ

فكُلي عِينِيكَ يَا أُمَّ هُبْلُ

حَبّاً اللَّيْلُ القَمَزُ...

وتعالِي نارَ عَمَّارٍ...

فقد دَقَّ لِكَ الطَّبَلِ الحَطْبُ

وَكُليهِ وهو في أقماطِهِ،

هذا الحِجْرُ

قَبْلَ أنْ يَحِبُّوا، وأنْ يَنمو،

وأنْ يَغْدُو صَنَمٌ...

الحجاج والفيلسوف الأخرس

... وأرى رؤوساً أينعت، وأرى القَطَافَ،

وأرى الدِّماءَ،

بين العمائمِ واللِّحى، تَبَّتْ يداكَ

بغدادُ أسكَّرَها التُّواخُ

وعلى الضِّفافِ الخُصْرِ،

تَغْتَسِلُ الضُّبَاعُ وشهرزادُ

أخرى مزبِفَةٌ وألفُ حكايةِ

شوهاءَ في نجمِ النهارِ،

وعلى الجماجمِ في ملابسِ شهريازِ،

الفيلسوفُ الأخرسُ المجذومُ يُقَعِّي،

وهو يُصْغِي،

كيفَ قَدْ فقاوا عيونَ السندبادِ

وتصيخُ عاهرةً، تُسْقِي نَفْسَها

قمرَ الزَّمانِ،

مبحوحةِ التديينِ، كمِ صاحِ،

بنافذةٍ، لماخورٍ وحانِ،

- مولاي قَدْ طويَ الشُّراعَ

هُوَذا قَمِيضُ السَّنْدَبَادِ،

عَلَيْهِ أَخْتَامُ الْبَحَاذِ

وَالْفَيْلسُوفُ الْأُخْرُسُ الْمَجْدُومُ،

مِنْ عَيْنِيهِ يَبْصُقُ وَالْهَتَافُ،

يَعْلُو، وَفَوْقَ الضِّقَّةِ الْخَضْرَاءِ،

تَضْحَكُ، مِنْ مَخَالِبِهَا الصَّبَاغُ

بَغْدَادُ أَسْكَرَهَا التُّوَاخُ

وَحَمَامَةٌ نَاحَتْ بِبَابِ الطَّاقِ،

تَنْتَظِرُ الصَّبَاغُ

البطل في الساعة الخامسة والعشرين

الملك مات

ألف فاريس ظلا الغبار وجهة؟

وفر منه سيفه،

أتى يقول

بأنه رآه، سيفه في كفه،

يموت

خمسون طعنة، سبعون

ألف طعنة في صدره، ومن يكذب السيوف

وذلك المجنون يقرع الأسوار

كاشفاً عن صدره،

يصبح أنه الملك

وكاذبون ألف مرة، فما هلك

وأنه قد باع نعله وتاجه وعاد

كذابة قصائد الرثاء،

أدمع الأجراس،

شهقة الإزميل في الحجز

الملك مات تحت خيمة الرايات،

قبره هناك،

تمثاله، يفرُّ من نَحَاتِهِ، سجانِهِ،

من ساحةِ المدينة

في كلِّ عامٍ حينما تدقُّ

تلك الساعةُ اللَّعينَةُ

وكم رأوه والدماءُ، من جراحِهِ تسيلُ

يدقُّ بابَ القصرِ،

جرعة من النبيذِ للقتيلِ...

وكم رأوه يُطعمُ التمساحَ،

في بحيرةِ الورودِ

وَيَفْتَحُ الأقفاصَ للأسودِ

وذلك المجنونُ دائمُ الصياحِ.

إنَّه الملكُ...

وتقفزُ السيوفُ كالأسماكِ، كاذبٌ

عدونا على أسوارنا رماه...

الملك مات ملءَ درعِهِ،

ولم يبيع جوادهُ وسيفهُ الذهبَ،

إن لم يُمِتْ، لا بدَّ أن يموتَ،

فليزِمِه أَحْبُكُم إِلَيْهِ بِالسَّهَامِ
وَلتَنَحَرُوا، قِصَائِدَ الرِّثَاءِ كُلِّ عَامٍ

البهلوان

في قِزْبَةٍ مَقْطُوعَةٍ نَفَّخُوا،

وأدراج الرياح،

ذَهَبَ الصَّيَاخُ،

طَارَ القَنَاغُ وَظَلَّ وَجْهَكَ،

عَارِيًّا فِي الكَرْنُقَالِ،

فِي الجَعْبَةِ الصَّفْرَاءِ،

مَا زَالَتْ سِهَامُ،

طَارَ الحَمَامُ،

حَطَّ الحَمَامُ

والبهلوانُ

قَدْ تَفَتَّعَتْهُ الخَمْرُ، فأنزلق اللسانُ

على الحبال،

مَا لَا يُقَالُ،

قَدْ قَالَ لَا تُلصِقْ،

على الوجهِ الذي مات اللثامُ

الطيبُ لَا توقطُهُ، نامُ

الهودج والكلاب

ما فات فات،

ما للجراد، وللعناكب ذكريات

ظوي الكتاب،

ملك الرماد، يعود من غزواته

ملك الرماد

من أرض واق الواق،

تصهل حول هودجه الكلاب

صرخوا، وقد سرقوا القطوف له،

وغشوا الخمر، وابتلعوا الدفوف

صقر المنابر، ناطح الكلمات،

أبرغ من مشى فوق السيوف

الثلج ذاب

لم هذه الأبواق تستلقي

على الأسوار، يملأها الذباب،

شدوا السروج على الكلاب!

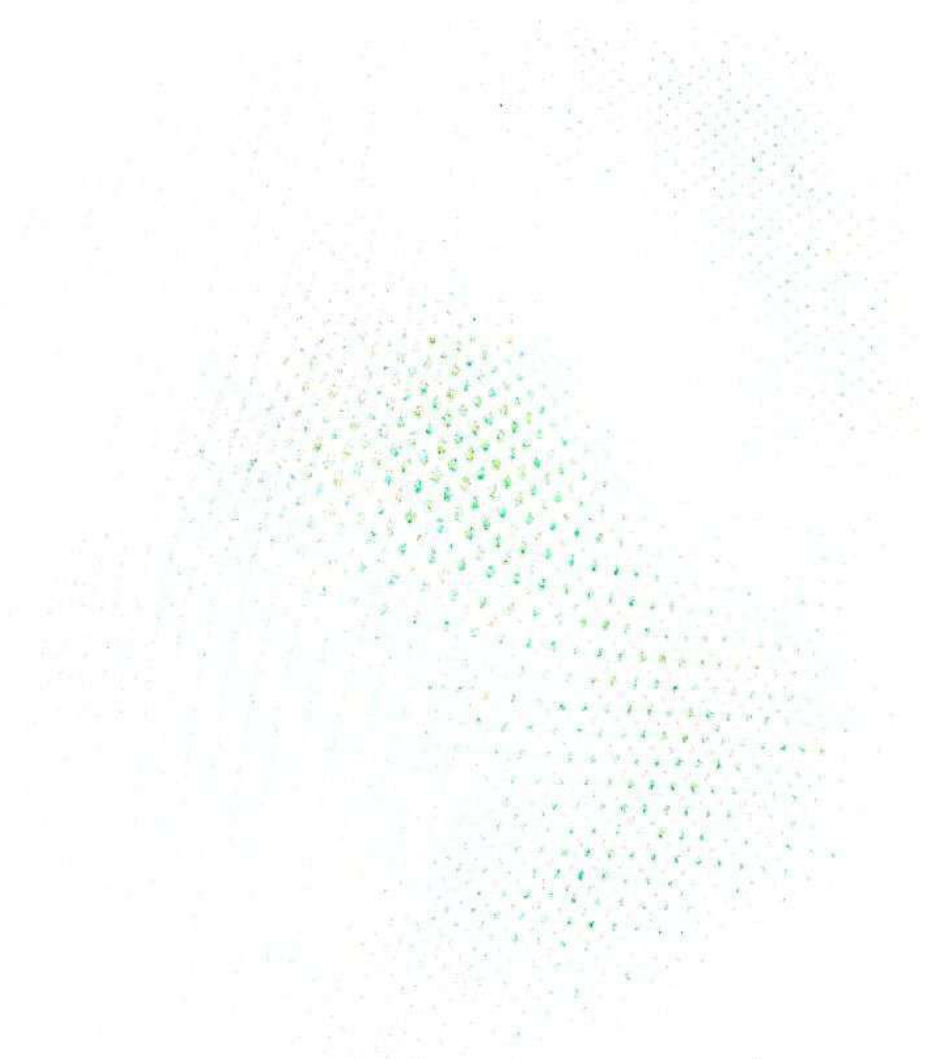
الآن وقت الشد يا ملك الرماد،

صاحوا، وقد حزموا حناجرهم،

وفوق رؤوسهم،

صهّل الغراب!

الكراسة الثالثة



بطاقة معايدة إلى بوشكين

لو عُثت في بلاطِ عَصْرِنَا،

في هذه الأيام

حيث الأرانبُ العرجاءُ،

تركبُ الأفيالُ

وترتمي العنقاءُ في قفصِ

وتكتبُ الأسماكُ والحياتُ،

أجملَ الأشعارِ والقصصِ،

لو عُثت في بلاطِ عَصْرِنَا،

لجاءَ أصلعُ الجناحِ، من بطانةِ الأميرِ

مبارزاً،

وأشهرتُ في وَجْهكَ السلاحفُ الرماخُ

فالشعرُ في المخلاةِ والنجومُ،

في مذاودِ البقرِ...

فما الذي تقولُ

زَهرةُ البركانِ للحجزِ؟

القصيدة والخنجر

مَنْ يَشْتَرِي جَنَاحَ بَجْعَةٍ،

صَلِيبَ شَاعِرٍ،

مَنْ يَشْتَرِي الْإِكْلِيلَ؟

مَنْ يَشْتَرِي بَضْفَعِ خِرْسَاءٍ،

هَذِهِ الطَّبُولُ؟

مَنْ يَشْتَرِي بَرِيشَةَ رَايَاتِكُمْ،

أَيْدِيكُمْ،

أَيْنَ الَّذِي يَقُولُ؟

وَنَجْمُهُ يَظَلُّ فَوْقَ رَأْسِهِ،

أَيْنَ الَّذِي يَقُولُ؟

كَذَّابَةٌ أَجْرَاسُكُمْ،

كَذَّابَةٌ سَنَابِكُ الْخِيُولِ!

الشاعر والعراف

... وانكسرت في كفي عينُ العراف

قال أخاف،

الليلُ قصيرٌ، لكنَّ الشمعة،

قد غرست، في أذنِ السيِّاف

تقتلني كفك خذ عيني وارجل

فسفينة نوح

توشك أن تُقلع،

واتركني للثارِ المختبئة في الريح

الليلة يخرج من قممهِ الثعبان

والسمكة تُلقي خاتمها،

ويثورُ البركان

الليلة يتدحرج،

رأسُ السلطان؟

الشعر وخصيان السلاطين

يا أبا الطيب خصيان السلاطين،

وغلمان القياض،

كلُّ ذي قرطٍ وخلخالٍ،

وعقدٍ وأساوز

كلُّ مَنْ قَدَّ شَدَّةُ النَّخَاشِ

من وحلِ الضفائز

كلُّ مَنْ لَطَّخَ بِالْحَبْرِ الْأُظَافِرَ

كلُّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْلَ وَلَا اللَّيْلَ،

وبيداءِ المخاطِزِ

والقوافي وهي كالبيض البواتزِ

جاءنا يركبُ سهوات القصائدِ

أين أخفيت - أبا القصر - النياشينَ،

وحبَّات القلائد؟

يا أبا الطيب فمَّ صحَّ النواطيرِ،

وقمَّ صحَّ القياثزِ

دقتِ الأجراس للصيدِ

ثعابين المحابزِ

بشمت من لحمنا،

هذي الثعالب

صار درع الفارس المقتول،

بيتاً للثعالب،

آه يا سيف المحارب!

تحت وسادة شاعر ميت

غرس الشاعر ريشته في محبرة السلطان

الريشة قد ذبلت،

والشاعر قد مات،

دينار نحاس، تحت وسادته،

وكتاب

آكل يا مولاي لساني

تهجرتني قافية الهمزة والراء

أحلف بكلاب الصيد،

على بابك والشعراء،

كالخيل مسرجة بقوافيها،

ملجئة بالأوزان

ما قلت بأنك في مجلس أنيسك

ترقص غريان

تشرّب في نعل الجارية،

وثلقي التاج على رأس مهزجك السكران

تسقط في مخلاة جوادك عيناى

إن كنت هجوت،

مغنيك الأعور مولاي

مقامة إلى بديع الزمان

حدّثني وِرَّاقٌ في الكوفة،

عَنْ خَمَارٍ

في البصرة، عَنْ قَاضٍ فِي بَغْدَانِ،

عَنْ سَائِسِ خَيْلِ السُّلْطَانِ

عَنْ جَارِيَةٍ، عَنْ أَحَدِ الْخَصِيَانِ

عَنْ قَمَرِ الدَّوْلَةِ، حَدَّثَنِي قَالَ:

كُنَّا فِي مَجْلِسِ مَوْلَانَا،

فِي شَمْسِ الرَّابِعِ مِنْ رَمَضَانَ

مَوْلَانَا أَنْطَقَهُ اللَّهُ فَصَاحَ

مَنْ يَفْعِي خَلْفَ الْأَبْوَابِ،

مِنَ الْفُقَهَاءِ، مِنَ الشُّرَاحِ

- مَوْلَانَا فِي بَابِكَ عَبْدُكَ وَأَوَاءُ النَّظَاحِ

وَهَنَالِكَ عَبْدُكَ، خَفَّاشُ بْنُ غُرَابِ

وَالشَّيْخُ الْوَاتِقُ بِاللَّهِ، ابْنُ مَضِيْقِ

صَاحِبُ أَلْفِ طَرِيقِ وَطَرِيقِ

تَسْلُكُهُ الزَّنْدِيقَةُ وَالزَّنْدِيقِ

مَوْلَانَا عَطَسَ ثَلَاثًا يَرْحَمُهُ اللَّهُ،

وانتصبت أذناه،

- إليّ بوأواء النّطّاخ...

وانزلق الشيخ من الباب،

وبركَ أمامَ السلطانِ

مولانا كفاً في كفّ صرَب،

وهفهمَ يا وأواء...

أقسمتُ ثلاثاً للجارية الرومية وظفاء

أن أطرق مخدعها،

ضلتُ قدمي، واختلطت في عينيّ الأبواب

وصحوتُ مع الديك، فاذ بي،

أتمدّد في ذنبي،

في حُجرة أحدِ الغلمانِ

وتنخنخ، بسمل، حوقل،

وأواء النّطّاح، وصاخ:

ليس على مولانا السلطانِ جناح

فالقسمَةُ غلبت، والعبرةُ في النيّة،

لا أين تسيّر القدمان...

وسواء، في المخدعِ إنش أو جان

والذنب على الجارية،

فَلَوْ وَصَّعَتْ فِي بَابِ الْمَخْدَعِ مِصْبَاحٌ

مَا ضَلَّتْ قَدَمَا مَوْلَانَا،

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَالسُّلْطَانُ...

وَخَازِنُ بَيْتِ الْمَالِ

القمر ذو الوجوه السبعة

(1)

عُصفوره يموت تحت كل قُبْعَه

جواده يرعى الغبار،

بعد كل موقعه

يبيع كل ما يجوع

جرحه وأدمعه

يبيع كل ما في السوق،

خاتماً، قصيدة، فراشة وأقنعه

يبيع نجمة، يبيع زوبعه

يبيع قلبه،

يبيع أضلعه،

(2)

تموت في الخريف مرّة

وفي الربيع مرّتين

يستيقظ الشتاء في غضونِها

ويأكل اليدين

رأيتُه في كربلاء،

تحت راية الحسين

سهيل سيفه مع الحسين

وفوق سيفه قصيدة منقوشة

في مدح قاتل الحسين

(3)

غَزَلْتُ للعناكب العمياء

ما غَزَلْتُ

كتبت ما كتبت

وعدت ترجم القصائد التي كتبت

فأين أنت أين أنت؟

نظرت للنجوم فاحترقت

أطعمت شمعة لضفدع، أصبت

قصيدة الإيوان أصبحت،

من ألف بيت

الوزن يُطربُ الحمان،

ينسي الذئب رأسه،

أجدث

غداً تصيد الحوت في مضيق بحرك الطويل

لتملأوا شباك هذا الشاعر الأصيل

بقطة ميّتة، مفتوحة العيون

بغلب الثبغ وبالسردين

1966

الصمت

(1)

الصمٓٓٓ موٓٓٓ

قُلها وُمٓٓٓ

فالقولُ ليسَ ما يقوله السلطانُ والأُميرُ

وليسَ تلكَ الضحكةُ التي يبيغها المهزجُ الكبيرُ

للمهزجِ الصغيرِ

فأنتَ إنْ نطقتَ مٓٓٓ

وأنتَ إنْ سكتَ مٓٓٓ

قُلها وُمٓٓٓ

(2)

حذارِ أنْ تفضَّ ختمها

حذارِ أنْ يرى البحارةُ المهاجرونَ

وشمها

سيرقصونَ حتى يسقطَ الشراغ

فوقَ نجمها

حوريَّةُ البحارِ فوقَ صخرة

وحنجَزُ في صدرها

قصيدة الربان في زجاجة،

قد مات قبل أن يتمها

حذار أن تتمها

(3)

كتبت عن طيورنا المهاجرة

وقلت ليس للرياح ذاكرة

كتبت عن أشجارنا التي تموت

وهي واقفة

هذا الشتاء دقت الأجراس،

لم ترغرد عاصفه

هذا الشتاء ضاجع المخصي بغلة السلطان،

لم تضاجع الأشجار صاعقه

ولم تمث على سرير من ثحب عاشقه

(4)

الشاعر الذي وصفته قد مر من هنا

وفوق رأسه سحابة من الجراد

الشاعر الذي قد كان بيننا،

ولم يكن

وربما يجيئنا في آخر الزمن
لو كان لا يزال حبه لنا
مطرزاً على الكفن
فعضرنا الشجاع والجبان
ليس عصر شاعر وسندباد،
أبطالنا وجوههم،
خلف الدروع تحتجب
نطقت حينما الكلام كان من خشب
والصمت من ذهب

لن يمرّوا...

أحدٌ يمرُّ كذبت لا

أحدٌ يمرُّ فلا حدود

أنا لن أبدلَ حبلَ مشنقتي

ولا زردَ الحديد

لكنه مرَّ الرصاص

وخلفه مرَّ الجنود

ظردوا عن الأرض التي

ولدوا عليها يعرقون

وسيعرقون وهم بأرضك

يقتلون ويقتلون

أو حينما يتساءلون

متى تراهم يرجعون؟

عصبوا عيونهم فما لمحوا

القنالَ ولا الوحوش

كم دنشواي على مخالبتهم

ممرقة تعيش

وحفرت صوتك خندقاً

سُدُّوا الطَّرِيقَ عَلَى الْجِيوشِ

فَلَا حِنَا أَشْحَذْتَهَا

هَذِي الشَّرَاشِرَ لِلْحِصَانِ

قَدْ أَقْبَلُوا وَاسْتَبَشَرَ الْمَلَأُكَ

خَيْرًا بِالْجِرَادِ

وَسَيَذْبَحُونَكَ بِالشَّرَاشِرِ

فَوْقَ أَكْوَامِ الْحِصَانِ

كَذَّابَةٌ هَذِي الْمَدَافِعُ

لَا تَصَدِّقْ مَا تَقُولُ

لَمْ تَحْسَ بِالزَّيْتُونِ أَوْ بِالْبَرْتَقَالِ

أَوْ النَّخِيلِ

بَلْ بِالْمَشَانِقِ وَالسَّلَاسِلِ

بِالسِّيَاطِ وَبِالسِّيُولِ

أَنَا لَسْتُ أَقْرَأُ كَقَكِّ الْعَطَشَى

لَأَعْرِفَ مَا الْمَصِيزُ

بِصِمَاتِ الْإِسْتِعْمَارِ فَوْقَ وَجُوهِهِمْ

وَعَلَى الظُّهُوزِ...

وَعَلَى بِنَادِقِهِمْ عَرَفْتُ بِهَا

الخيانة والمصير
أسدود خندقه الأخيز
وليس خندقه الأخيز
قد باع غزّة قبل أسدود
الأجيز إلى الأجيز
إن عشت تبصرهم وقد حملوا
الرؤوس على الظهر
وأنا وأنتِ وكيف أجرؤ:
أن أقول:
لولاهم لفرشت بيتك
بالزناقي يا نهيل
ولشبت توفيق الصغير
ومع ريموندا ومع راحيل.

في الطريق إلى الزنزانة...

نشيد السجون في الأرض المحتلة

هناك... هناك... بعيداً بعيداً...

سيحملني يا رفيقي... الجنود...

سيلقون بي في الظلام الرهيب

سيلقون بي في جحيم القيود

لقد فتشوا غرفتي يا أخي

فما وجدوا غير بعض الكتب

وأكوام عظيم همو... إخوتي

يئنون ما بين أم... وأب

لقد أيقظوهم... بركلاتهم

لقد أشعلوا في العيون الغضب

أنا الآن بين جنود الطغاة

أنا الآن أسحب للمعتقل

وما زال وجه أبي ماثلاً

أمامي... يسلحني بالأمل

وأمي... وأمي... أنين طويل

ومن حولها إخوتي يصرخون

ومن حولهم... بعضُ جيراننا

وكلُّ له... ولدٌ في السجون

ولكنني رغمَ بطشِ الجنود

رفعتُ يداً أثقلتها القيود

وصحْتُ بهم: إنني عائدٌ

بجيشِ الرفاقِ... بجيشِ الرعود

هناكُ أرى عاملاً في الطريقِ

أرى قائدَ الثورة المنتصر

يلوِّح لي بيدٍ من حديد

وأخرى تطايرُ منها الشرز

أنا الآنَ بينَ مئاتِ الرفاقِ

أشدُّ لقبضاتهم... قبضتي

أنا الآنَ أشعرُ أنني قويٌّ

وأنني سأهزمُ... زنانتني

نعم لن نموت، نعم سوف نحيا

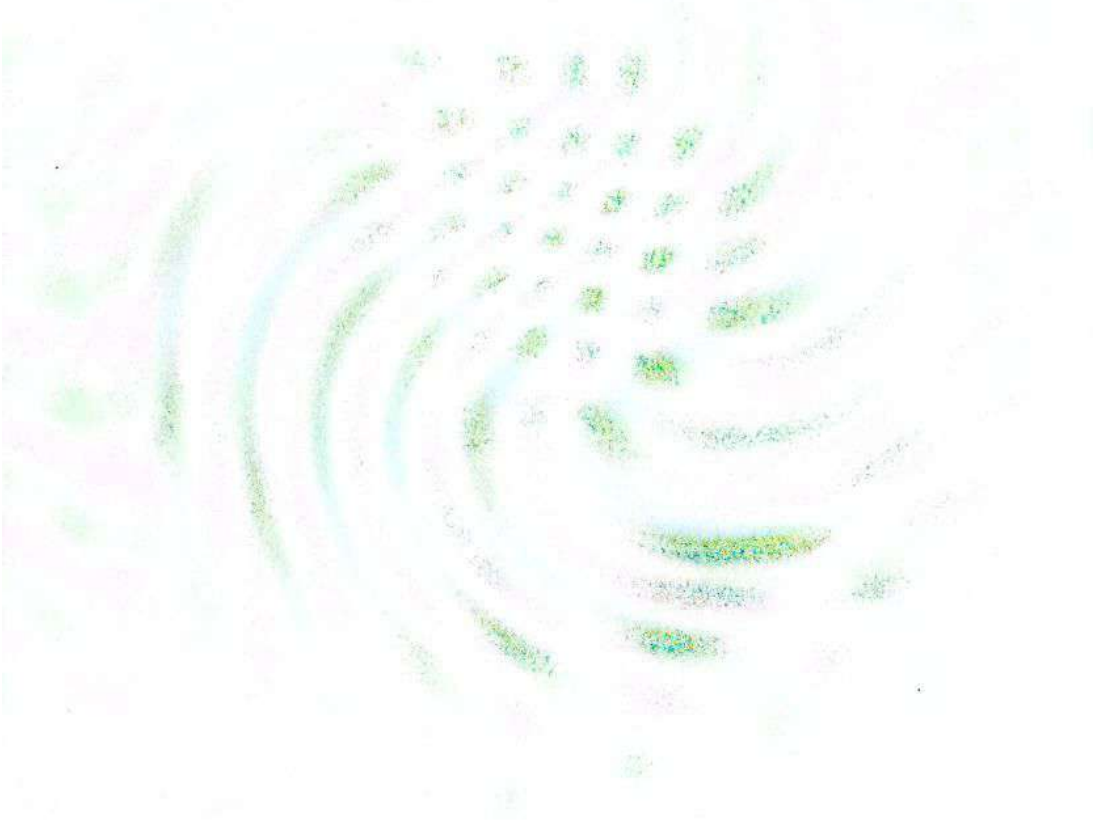
ولو أكل القيء من عظمنا

ولو مزقتنا سياط الطغاة

ولو أشعلوا النار في جسمنا

نعم لن نموت، ولكننا

سنقتلغ الموت من أرضنا



المرتد...

إرکغ للورقة

أغرّس قلمك

في عيني طفلك، واكتب ما أمرك

أن تكتب من ذبحك

بالقلم على عتبة بيتك

كؤم أيامك قدامك، أوراقاً وأسأل

لا تخجل

جلادك عن عود ثقاب

إعجن من وحل دخانك، ورمادك

صفحات كتاب

إعجن أوراقك وتذكّر

لو كان الميت يتذكّر

أنك من هذي الكلمات تُصفر

حبالاً، وتعلق من هذي الأسطر

عصّ كذب قلب حبيبتك

وقدّمه على طبق من ورق أصفر

قصّ صفائرها لتضمّد

جرح الضبع الأسود

إدغ كالعقرب عينها أقدام

لا تحجم

أقدم واقرع

كالضفدع

أجراسك للمستنقع

وقّع وقّع

اسمك في ذيل الورقة وقّع

وقّع وتسلل

كاللص إلى بيتك واحذر

ظلك أن يقع على مصنع

فامضغ ظلك منديلاً من سُمّ واهرغ

أطرق أطرق

بابك حتى تتمرّق

يدك فلن تسمع

خطوة من كانت تهواك ويخفق

ساعدها في يدك كسيف من مايس

وكبيرق

فالآن كعود رماد وكخيطة دخان أسود

ساعدك تبدد

إقرع إقرع

لن تسمع خطوتها لن تسمع

قد نزعت طوقاً من شوك

خاتمك من الإصبع

المهرب أين المهرب

لم ثقهز أطفال لينين ولم تغلب

قد كذب المخلب

قد كذبت كل عصي الجلاب فلم تركع

في أبي زغب

أطفال لينين ولم تهرع

تملاً شدي ذئب الفيوم الأصفر

ورقاً من ورد أحمر قد فتح

علماً من ورد أحمر قد فتح

يتحدى سكين المذبح

فاغرُزْ عِينِكَ كِنَابِينِ تَطْلَعُ

لو تقوى أن تتطلعُ

أنا ألمحُ فوقَ الرَّمْلِ الأصفز

قضبَانِ المَزَّةِ تتكسز

ودمشقُ بدميةِ «عقار» دمشقُ تلُوخُ

لكم، أطفالُ القَاهِرَةِ تلُوخُ

فتطلعُ ولتتوقدُ

في عنقكُ جمرَةٌ جُرحٍ لا يَخمذُ

فتطلعُ لو تقوى أن تتطلعُ... أن تتصوّرُ

قلبِ «فريد» المصلوبِ على قلبي نُوْرُ

كرواناً أحمزُ

قلبي كروانُ أحمزُ

قلبي حنجرَةٌ الأسوارِ ولن يهدأ يَصْدُخُ

لن يهدأ شرزُ الأَغْنِيَةِ يَقْدُخُ

القلمُ السكرانُ من السّمِّ ترنُخُ

عَيْثاً يَسْنَدُهُ السَّجَانُ وَتَسْنَدُهُ الأَسْطَرزُ

والذكري موجةُ شوكِ تتكسزُ

فوق جفونك وتورق
حتى الصمت، فلا يهدأ بالقدم
العريانة يطرق
أرض الزنزانة، والليل على
صدرك باب مغلق

سجائك أقبل
كالحفرة كالمعول
أين ستمضي؟ أبيتك؟
بيتك في ظهرك خنجر
أطفلك؟ طفلك فوق صليب
الأوراق بدميته سمر
سشاق إلى الشارع فتعثر
في ظل السجان تعثر
أين ستمضي والريح تُطير
خطواتك أسطر ورقة

قُتِلَتْ حَيَّةٌ قَالَتْ، لِلْأَسَدِ
نَمُوتُ حَيْثُ تَسْقُطُ الْيَمَامَةُ الزَّرْقَاءُ
فِي الشَّرَاةِ ...
تَمَلُّ عَيْنَكَ النِّمَالَ، يُغْمِدُ الْوَتْدُ
تُسْحَبُ بِالْحَبَالِ يَغْلِقُونَ
بَابَ ذَلِكَ الْعَرِينِ بِالْحَجَرِ
تَغْرَسُ فِي أَحْشَاءِهَا، أَصَابِعُهَا وَتَنْتَحِرُ
تَمُوتُ بَعْدَكَ الشَّجَرُ
عَيْنٌ بِسَبِيحٍ

معين توفيق بسيسو

1926 - 1984

ولد الشاعر والأديب الفلسطيني معين بسيسو في مدينة غزّة بفلسطين 10/10/1926. والده هو توفيق خليل بسيسو الكيالي، وجدّه هو خليل يوسف بسيسو أحد زعماء ووجهاء غزّة. والدته السيّدة هدى علي الشوّا ووالدها أول رئيس لبلدية غزّة وعمّها الحاج سعيد الشوّا من وجهاء وأغنياء غزّة.

تلقى تعليمه في المدارس الحكومية في غزّة والتحق عام 1943 بكلية غزّة ثمّ الجامعة الأمريكية في القاهرة التي تخرّج فيها في العام 1952.

بدأ بنشر قصائده التعبيرية والتحريرية في صحف الاتحاد والحرية اليافاوية في العام 1944 مع شاعر فلسطين المرحوم عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى). اندمج أثناء دراسته بالقاهرة مع الحركة الوطنية المصرية ومع المثقفين المصريين وشارك في الحركة الأدبية والفكرية وكانت له علاقات وطيدة مع الأدباء والكتاب أمثال صلاح جاهين، كامل الشناوي، محمد حسنين هيكل، يوسف ادريس، عبد المنعم القصّاص وعبد الرحمن

الخميسي وكثيرين غيرهم.

عمل معين في جريدة «الأهرام» المصرية و«الثورة» السورية وترأس مجلة اللوتس كما نشرت أولى قصائده وكتاباته في صحف «المصري» و«المساء» و«الوادي» في القاهرة قبل وبعد ثورة 1952. كذلك عمل معين بعد تخرجه في مجال التعليم والتدريس في كل من غزة والعراق.

اكتسب معين الجدة الثورية والتجربة النضالية والتنظيمية والسياسية، واستطاع بوعيه وفكره الثاقب ورؤيته بعيدة المدى أن يرفع مستوى النضال الشعبي والجماهيري ويخرجه من السر إلى العلن. قاد الأديب الفلسطيني حملات المقاومة ضد مشاريع التوطين في سيناء وضد مطاردة وملاحقة الوطنيين والزج بهم في غياهب المعتقلات والزنازين، وبسبب نشاطه وآرائه ومواقفه الوطنية الشجاعة ألقى به في السجن السياسي في مصر مع زملائه الأحرار والمناضلين بين الفترتين الأولى من 1955 إلى 1957 والثانية من 1959 إلى 1963. وقد أضفت معاناته في السجن طابعاً خاصاً على شخصيته وأدبه وأشعاره الثورية التي شكّلت مُعيناً وسلاحاً وزاداً للمقاتلين والمناضلين الفلسطينيين خصوصاً والعرب عموماً. لم يفصل معين بين عملية

التحرّر القومي والطبقي وذلك لإيمانه بال جماهير
الشعبية العريضة التي تُعتبر القاعدة وصانعة
التاريخ.

صدر ديوان شعره الأوّل «المعركة» عن دار الفكر
الحديث في القاهرة في 27 كانون الثاني/ يناير
من العام 1952 وذلك في اليوم الثاني لحريق
القاهرة. يقول معين: «كان في مطبعة لا أزال
أذكر اسمها - مطبعة أورفند - ولقد دافع العقّال
المصريّون عن مطبعتهم ولم يحترق ديوان الشعر
وتّم تهريب ديوان المعركة إلى مكتب الشاعر
المصري «كامل الشناوي» في جريدة الأهرام وإلى
بيت المصوّر المصري «حسن التلمساني» الذي قام
برسم الغلاف» .

أثرى معين بسيسو المكتبة الثقافية العربية
والعالمية بالعديد من دواوين الشعر والمسرحيات
والمقالات والأبحاث الثقافية والأدبيّة ومن دواوينه
«المعركة»، «الأشجار تموت واقفة»، «فلسطين
في القلب»، «جئت أدعوك باسمك»، «القصيدة»
وغيرها. كذلك أغنى الأديب القومي المسرح
بالعديد من المسرحيات التي تمّ تمثيلها في العديد
من الدول العربية منها «ثورة الزنج»، «شمشون
ودليلة» و«الصخرة». ومن أعماله النثرية «دفاتر
فلسطينية»، «باجس أبو عطوان» و«88 يوماً خلف

المتاريس» وغيرها الكثير.

ترجمت أعمال الأديب إلى العديد من اللغات منها الانجليزية، الفرنسية، الألمانية والروسية وحاز العديد من الجوائز والأوسمة الفلسطينية والعالمية.

كسب معين بسيسو لنفسه الخلود والبقاء بفضل إبداعه الشعري الأصيل والجميل وسيرته الحياتية التي تميّزت بالصدق والجرأة والشفافية والنقاء الثوري وهو سيبقى في القلب والوجدان العالمي والفلسطيني بأعماله الأدبية ونضاله من أجل الحرية والعدالة.

وقد كانت قصيدة القصيدة هي آخر ما كتب الشاعر الثوري وقال عنها بعض النقاد والشعراء إنها معلقة ينبغي أن تُضم إلى المعلقات المعروفة في الشعر العربي وقد قال فيها:

«إني أنا المتنبي فوق عصركم»

حذاء عصري أنا المستقبل الزمن»

توفي الأديب والناشر معين بسيسو، كما تنبأ في إحدى مسرحياته القديمة، في لندن إثر نوبة قلبية حادة في 23 كانون الثاني/يناير 1984 وقد قال:

«ولساني كان السيف، وأنا الآن أموت،

وشهودي هذي الجدران الأربعة الخرساء...»